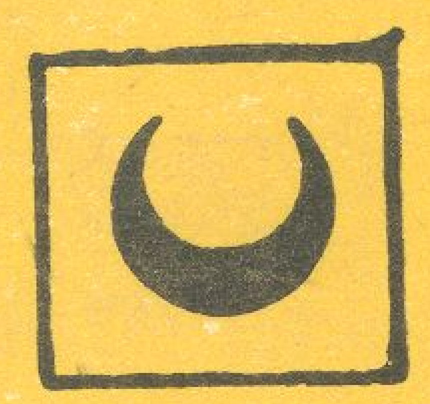
سيف بن ذي يزن

فاروق خورشيد

روايات الهلال

روائع القصص العالمي



روايات الهلال

Rewayat Al-Hilal

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

رئيس التحرير طاهر الطناحي

العدد ١٧٥ * يوليو ١٩٦٣ * صفر ١٣٨٣

No. 175 — July 1963

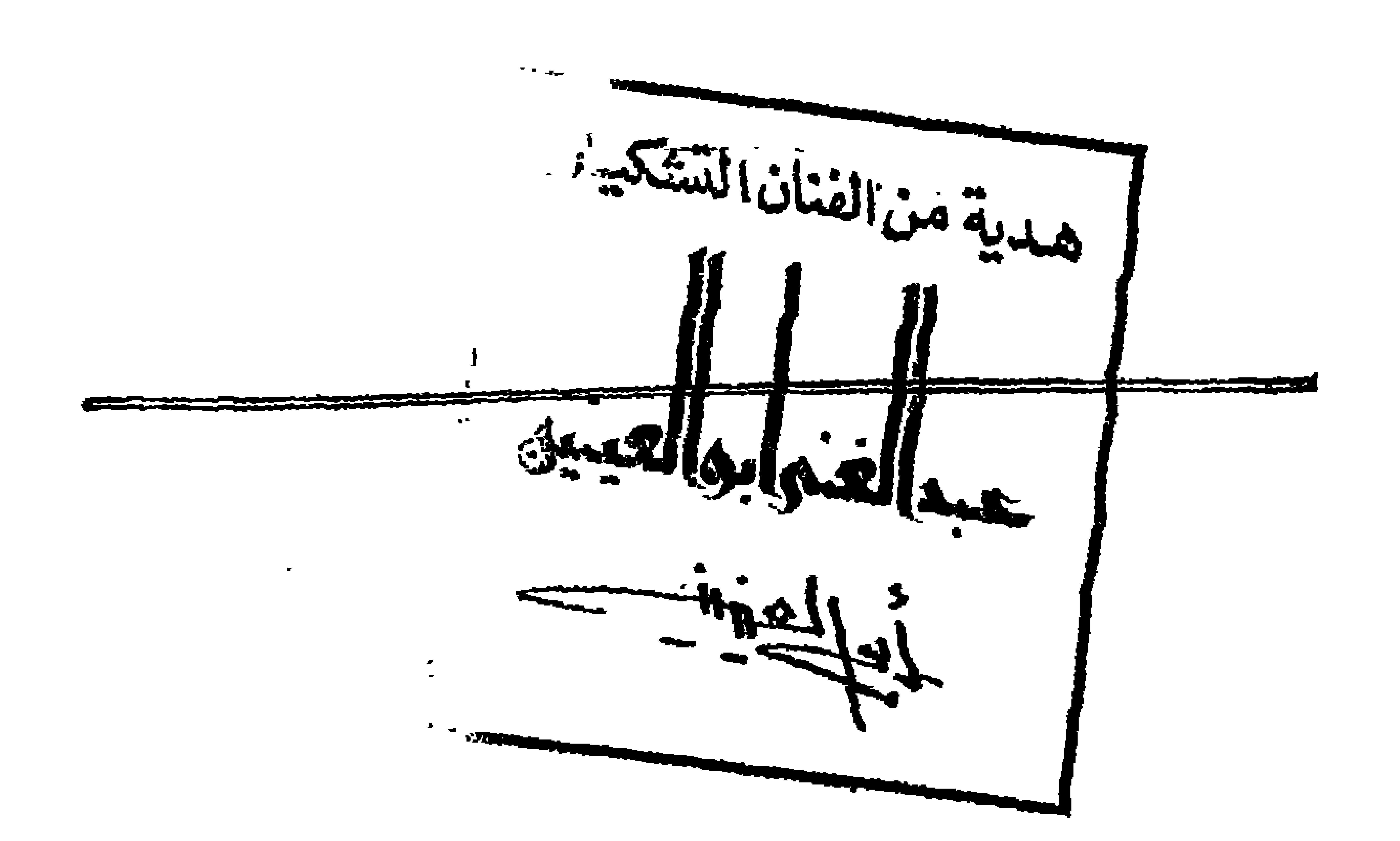
بيانات ادارية

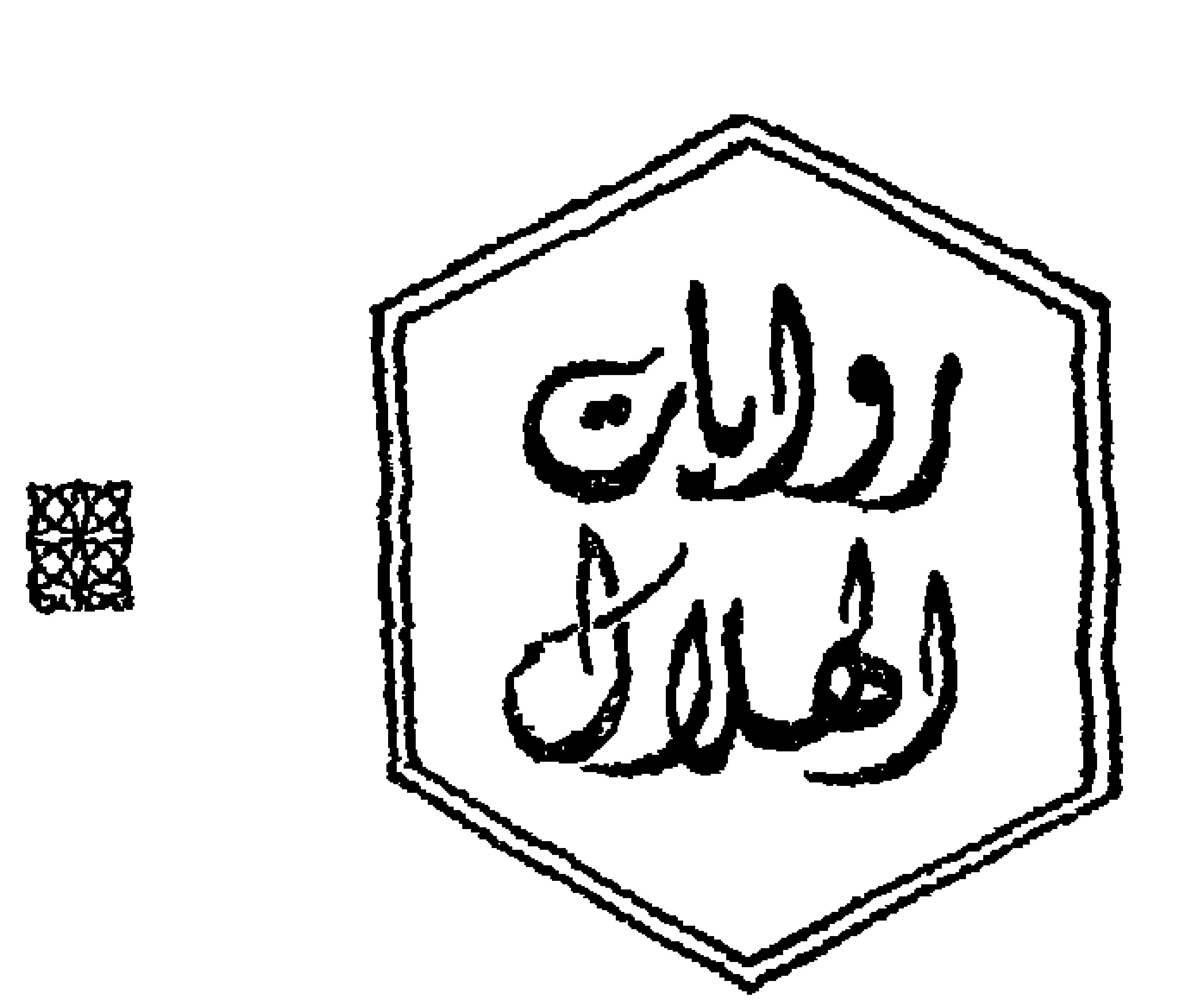
ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان ٨٠ مليما ــ عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ولبنان ١٠٠ قرش سورى لبنانى ــ فى الاردن والعراق ١٠٠ فلس .

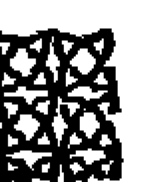
قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وفى السودان ٨٥ قرشا سودانيا ــ فى سوريا ولبنان ١٫٧٥ قرشا سوريا لبنانيا ــ فى بلاد اتحاد البريد العربى ١١٠ قروش ــ فى الامريكتين ٥ دولارات ــ فى سائر انحاء العالم ٣٠ شلنا .

والاشتراكات تسدد لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية ــ وفى الخارج بتحويل مصرفى على أحد بنوك القاهرة.

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ــ القاهرة
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)





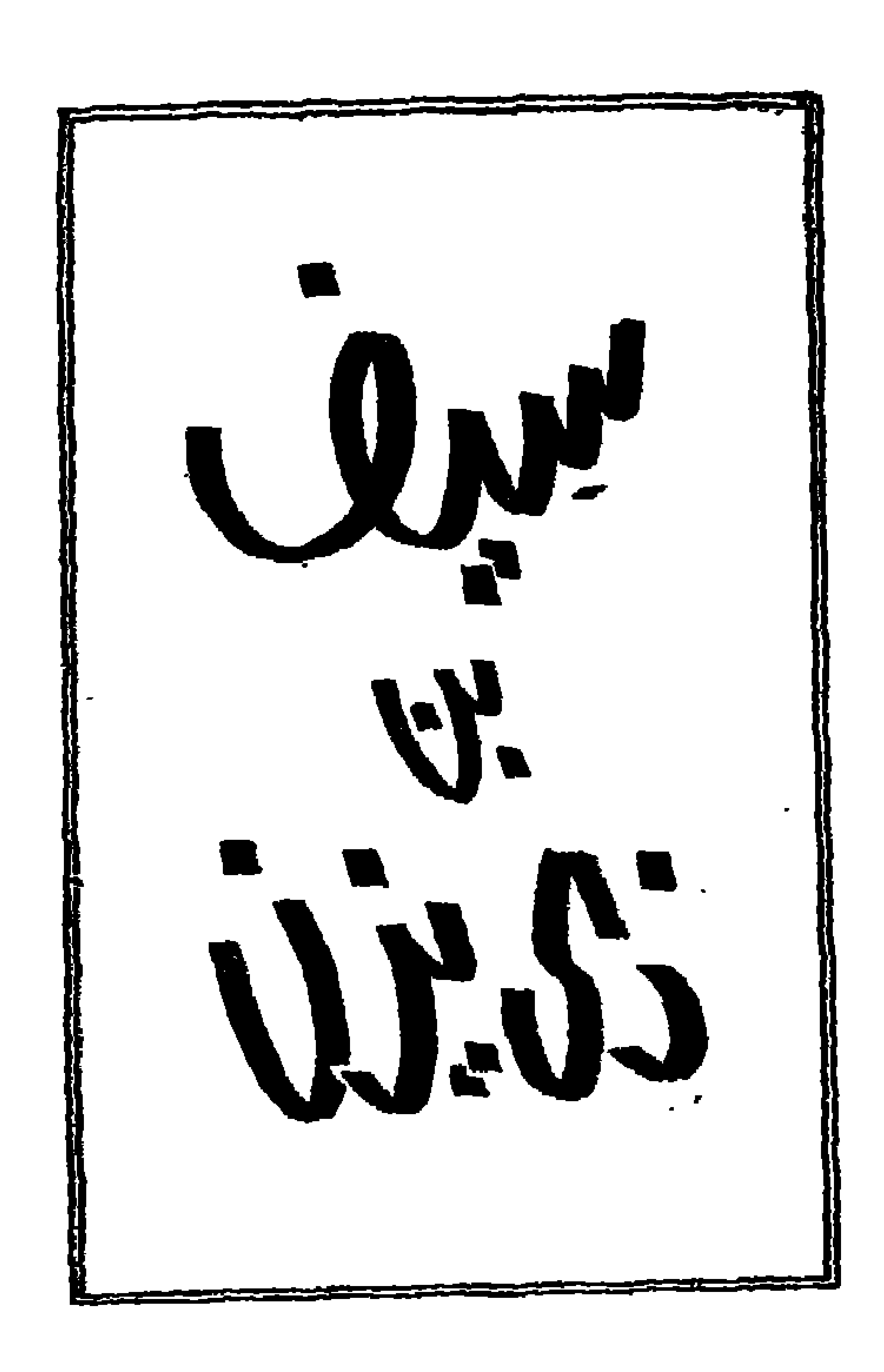


مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

إهـــــــداء٢٠٠٧

الأستاذ / عبد الغنى أبو العينين

جمهورية مصر العربية



بقلم

فاروق خورشيد

صياغة جديدة

الجزء الأول

قصـــة عربية تصور كفاح الشعب العربى
وبطولته . تقوم على سند من التـــاريخ
الثابت وتمتزج بخيال الرواية وفنها الممتع

السيرة والبطل

« سيف بن ذى يزن » واحدة من مجموعة السير الشـعبية التى تمثل لونا من الوان الادب القصصى العربى .. وهذه السير لم تصل كلها الى يد القارىء العربى المعاصر ، بل وصل منها عدد قليل جدا ، فالسير المعروفة عندنا اليوم من مخلفات هذا الفن الذى ازدهر فترة طويلة فى تاريخ حياتنا الفنية ، وهى : سيرة عنترة بن شداد ، وسيرة الظاهر بيبرس ، وسيرة الاميرة ذات الهمة ، وسيرة حمزة البهلوان ، وسيرة على الزيبق ، وسيرة سيف بن ذى يزن ، الى جوار السيرة الهلالية وأجزائها المتعددة

وتقديم السير الشعبية كأعمال فنية جديرة بالقراءة ، ثم بالدراسة ، هو الرد الوحيد على من يرون ان أدبنا العربى وتراثنا الفنى قد خلا من فن القصة خلوا تاما

فكثير من الناقدين المحدثين يزعمون أن أدبنا العربى ، لم يعرف فن كتابة القصة أو الرواية الا فى عصور النهضة المتأخرة أثر اتصالنـا بالآداب الاوربية عن طريق الترجمة ، أو عن طريق الاتصال المباشر ، لمن أتيح لهم أن يتقنوا اللغات الاوربية ، وأن يتصلوا بآدابها .. اما دراسة فى الجامعات الاوربية ، واما قراءة واطلاعا على هذا الفن الاوربى المولد والمصدر .. وهم بهذا يجردون أدبنا من كل معرفة لفن القصة ، قبل أن يتم هذا الاتصال بآداب الغرب

وهذا الادعاء الذى يحلو لاصحاب هذه النظرة الضيقة خطير وخطأ جملة وتفصيلا .. هو خطير لانه يحاول ربطنا بالحضارة الاوربية ربط التابع بالمتبوع والمستجدى بمن يمنح عن كرم وسخاء ، ويجعـل من ادبنا العربى الحديث لا امتدادا طبيعيا لتراث اصيل حمله له تطور الاجيال وجهد المتفننين من ابناء العربية على مر القرون .. وانمـا أدب تمتد جذوره لحضارات أخرى وأمم أخرى ، منت علينا بالفضل الذى حرمناه فى تراثنا نحن .. وهو خطأ ، لان الثابت علميا أن القصة

فن انساني اشتركت كل الشعوب فى تكوينه ، ثم اشتركت فى تطويره، لان القصة حاجة طبيعية من حاجات الشعوب .. وان ذهب بعض الاساتذة الدارسين الى جعل مهد القصة الاول هو الشرق كالعالم السنسكريتى«ديودور بنفى»الذى نشر عام١٨٥٩ المجموعة القصصية الهندية المعروفة باسم « بنتشتنترا » والذى يقرر أن الهند هى المهد الاصلى للقصة ، وذلك لحاجة الديانة البوذية الشديدة اليها ..بينما يذهب عالم آخر كالعالم « بديه » الى أن القصة متعددة المصادر الاولى ، كما أن البشرية متعددة الاوطان .. بينما يذهب العلامة العربى الدكتور فؤاد حسنين فى كتابه « قصصنا الشعبى » الى أن قصصنا العربى من أقدم القصص ظهورا ، وأنه يكون وحدة فى القصص السامى الذى يضرب فى القدم بنفس القدر الذى يضرب به القصص الهندى • ويقول الدكتور فؤاد حسنين : « تمتاز العقلية العربية كغيرها من عقليات الشعوب السامية باعادة تأليف القصص القديمة التى توارثتها منذ أقدم العصور ،واظهارها فى ثوب يكاد يكون جديدا، وكتبنا الدينية سواء منها السماوية وغير السماوية ملآى بشتى القصص ومختلف الاساطير والملاحم المتصلة بالنفس البشرية اتصالا مباشرا .. لذلك اصبح من السهل علينا أن نتعرف الى خلق القصة العربية ، وطريقة العربى فى الافصاح عن نفسه ، ثم الى أى حدنجحت هذه القصة فى العصور الوسطى فى غزو العقلية الغربية والتغلغل فى الآداب الاوربية » •

القصة اذن ليست شيئا مقصورا على الآداب الغربية بخاصة ، وانما هى ملك مشاع ــ كما قرر العلماء الدارسون ــ لكل الشعوب.. وهى عند هؤلاء العلماء أيضا أقرب الى أن تكون ملك الشعوب الشرقية منها الى أن تكون تراثا لشعوب الغرب ، ذلك أن الشرق كماهومعروف مهد للديانات ، وذلك أن الديانات ــ كما هو معروف أيضا ــ تعتمد فى بث تعاليمها وتثبيت معتقداتها على الحكاية والقصة التىتبرزمعالم التعاليم والعقائد ، وتجسد صور الفضيلة تجسيدا يقويها فى أذهان العامة ومتلقى هذه التعاليم والعقائد .. لكن اصحاب النقد الحديث من دارسينا العرب يهربون من هذه الحقائق التى تدخل فى مجال الدراسات دخول المسلمات ، ليقرروا انهم يقصرون حكمهم على فن القصة المتكامل ، والذى عرف شكله الاخير عند الغرب فى القرن السابع عشر أو الثامن عشر ، وحددت بذلك أصوله النقدية ومناهج الابداع فيه .. والواقع أن هذا الزعم أيضا هروب لا يقف على قدميه أمام

المناقشة ، فان فن القصة حتى الآن برغم وجود القواعــد النقدية والقوانين الابتداعية لم يكف عن التطور ، ولن يكف عنه الا اذا كفت البشرية عن الابتداع . وما نراه اليوم قانونا نقديا متكاملا سـوف نراه فى الغد صورة متخلفة لا تليق بالانتاج الجـديد .. وهى نفس النظرة التى ينظر بها هؤلاء النقاد الى تراثنا القصصى العربى الذى يتمثل فيما أمكن ان يصل الينا من السير الشعبية

ودارسونا هؤلاء يعلمون أن أوربا نفسها قد عرفت القصة قبل هذا القرن السابع عشر بزمن طويل ، ذلك أن أوربا عرفت القصـــة منذ ان عرفت الاسطورة التى تطورت فى أشكال مختلفة ، فظهرت منهـا الملاحم والدراما وأشعار الرعاة والاقاصيص المتداولة .. وكذلك فان العرب قد عرفوا الشكل المتكامل للقصة قبل هذا القرن السابع عشر بعدة قرون اذ تدلنا الابحاث التاريخية على أن سيرة «عنترة بن شداد» قد كتبت مثلا حوالى القرن الحادى عشر الميلادى ، بينما كتبت سيرة « سيف بن ذى يزن » حوالى القرن الرابع عشر الميلادى ، وفى هذه الجدود الزمنية تقريبا يرجح أن سيرة « الظاهر بيبرس » قد تكاملت

***

وأقدم النصوص العربية للسيرة الشعبية هو ذلك النص الذى أورده « ابن كثير » فى كتابه « تفسير القرآن الكريم » والذى يقول فيه : « واما ما يذكره العامة عن البطال من السيرة المنســوبة الى دلهمـة والبطال والامير عبد الوهاب والقاضى عقبة فكذب وافتراء ، ووضـع بارد وجهل وتخبط فاحش ، لا يروج ذلك الا على غبى أو جاهل ردى ، كما يروج عليهم سيرة « عنترة العبسى » المكذوبة ، وكذلك سيرة البكرى والدنف وغير ذلك . والكذب المفتعل فى سيرة البكرى أشد اثما واعظم جرما من غيرها ، لان واضعها يدخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »

و « ابن كثير » توفى عام ٧٧٤ هـ (١٣٧٣ م) أى أنه كان يعيش فى القرن الرابع عشر الميلادى . ومعنى هذا أن تلك السير كانت موجودة فى ذلك الزمن ، وكانت من الانتاج المعترف به والمتداول . وبالرغم من أن كثيرا من السير التى ذكرها «ابن كثير» لم تصلنـــا أو لم نعثر على مخطوطاتها بعد ، فانه قد ذكر من السير التى بين أيدينا سيرة «ذات الهمة » وسيرة «عنترة بن شداد» . وهذا يقطع بأن هاتين السيرتين كانتا متكاملتين ومتداولتين فى ذلك الزمن حتى خشى هذا المؤرخ من

أثرهما على العامة . وذلك يقطع بانتشارهما بين عامة الناس انتشارا كبيرا

وموقف «ابن كثير» يمثل موقف أصحاب الادب الرسمى من هذا اللون من ألوان الانتاج الادبى ، الذين لم يعترفوا به ولم يقدروه قدره، لانه كما هو واضح انتشر بين عامة الناس ووجد فيه القصاصون منفذا الى عقول الناس وقلوبهم ، فقدموا لهم فيه المعلومات العلمية بطريقة امتزجت فيها الحقيقة بالخيال .. بل قام فيها الخيال بالدور الاول، وخشى العلماء على الحقيقة أن تضيع وسط هذه الزحمة من الاحداث التى يخلقها خيال الكتاب

والواقع أن موقف هؤلاء العلماء موقف طبيعى ومفهوم، فعقلية العالم التى لا تعرف غير المسلمات من الحقائق ، غير عقلية الفنان المبدع الذى تفتح أمامه الحقائق أبوابا ونوافذ يطل منها على عوالم أخرى يستشفها من خلال الحقيقة ، وينفذ منها بباصرته الواعية الخلاقة بما يتجاوز الحقيقة العلمية الى ظلال وأعماق أبعد منها بكثير وأوثق ، الى معطيات القلب ومعطيات النفس، وأبعد الى ــ حد نسبى ــ عن معطيات العقل

***

شهد اذن القرن الرابع عشر الميلادى الذى عاش فيه «ابن كثير» تغلغل هذه السير الشعبية وانتشارها عند الناس ، بل شهد ايضا نوعا من المعارك بينها وبين العلماء يثبت وجودها وخطرها . والقرن الرابع عشر الميلادى لم يشهد صورا متكاملة من الادب القصصى فى أوروبا ، ربما لانها وجدت من وسائل التعبير ما يغنيها عن القصة، وربما لان حضارة العرب وتشعب ثقافاتهم وتعدد مكونات الشعب العنصرية والجنسية والسياسية لم يجد له وسيلة من وسائل التعبير عن نفسه أقرب الى هذه الوسيلة المتشابكة المتداخلة والتى تتيح له الفرصة لتحويل مجالات الاصطدام والفرقة فيه الى عمل أدبى ينفس عن هذا التعارض والتضاد بين الجماعات المكونة للشعب العربى

وأقدم سيرة وصلتنا واستطعنا ان نحقق تاريخا تقريبيا لها هى سيرة « عنترة بن شداد » التى ترجع فى أرجح الاقوال الى القرن الحادى عشر الميلادى .. وليست هناك من السير الشعبية التى بين ايدينا كلها سيرة تفوق سيرة «عنترة» من ناحية الحرفية الفنية ، ورغم أننا لسنا بصدد الحديث عن سيرة «عنترة بن شداد» الا أننا نحب أن نؤيد هنا الرأى الذى ذهب اليه كثير من الباحثين من أن كاتب هذه السيرة

شخص واحد ، فالواقع أنه رغم تعدد الاقوال عن كاتب هذه السيرة الا أنها أجمعت على البحث عن شخصية مفردة لتنسب اليها السيرة . وقد ذهب بعض المستشرقين الى أن كاتبها هو «يوسف بن اسماعيل» كاتب الخليفة العزيز ، وذهب بعضهم الى أن كاتبها هو العنترى أو الصباغ من العراق ، وحاول آخرون نسبتها الى الرواة الذين جاءت سيرتهم بالسيرة نفسها كالاصمعى ونجد بن هشام وجهينة اليمانى وغيرهم . وراح بعض المستشرقين يؤيد رأيا ويدحض غيره ، وراح الآخرون يتعصبون لرأى دون آخر ، الا أن اجماعهم على البحث عن كاتب مفرد لهذه السيرة يؤيد ما نذهب اليه من أن سيرة عنترة ، وغيرها من السير التى تبعتها انما هى أعمال فنية وراءها فنان مبدع شاء بها أن يقدم لونا من التعبير عن عصره وعن أزمة معاصريه

والواقع أننا نستطيع أن نجد بسهولة قضية معينة وراء كل سيرة ، فبينما تدافع سيرة « سيف بن ذى يزن » عن الساميين ضد الحاميين ، وتغلف هذه القضية العنصرية الخطيرة بأغلفة روائية بارعة ، نجد سيرة عنترة تدافع عن قضية مقابلة هى قضية الرابطة بين الساميين والحاميين .. فهى تجمع هنا ولا تفرق ، وتجعل من شخصية بطلها عنترة مزيجا بين العنصرين ، وممثلا لهذين الاصلين الجنسيين الكبيرين ، ونجد فى سيرة كسيرة «الظاهر بيبرس» دفاعا اشمل وأعم عن قضية وحدة الشعب العربى بكل مكوناته سواء آرية أم سامية أم حامية ، أو بصورتها التجسيدية سواء كانت عربية أم سودانية أم فارسية أم رومية

وتبنى كل سيرة لقضية يؤكد أن وراء كل سيرة فنان له هدف ويعمل من أجل غاية .. كما أنه يعنى أن السيرة قالب فنى معترف به عند هؤلاء الفنانين المختلفين الذين أبدعوا فى هذا المجال ، وربما كان يعنى كذلك أن فن السيرة هذا المعترف به قد كون لنفسه تقاليد متوارثة وحرفية بذاتها يستغلها هؤلاء القصاصون ويضيفون اليها ويطورونها .. وهذا الفن ــ فن السيرة الشعبية ــ يحتاج فى واقع الامر الى دراسة منفصلة تبين تقاليده ، وتوضح سماته ، وتخرج لنا معالمه الفنية واصوله الحرفية لتأخذ مكانها بين تقاليد انواع الكتابة الفنية التى عرفتها الانسانية فى بحثها عن قوالب صالحة للتعبير عن نفسها

وهنا نحب أن نرصد هذه الحقيقة ، وأن نقررها كمسلمة علمية ونقدية يفرضها تاريخ أدبنا الذى هو جزء من تاريخ الادب الانسانى

بعامة .. فقد قامت السير الشعبية بدور هام فى التعبير عن حقيقة شعبنا فى الوقت الذى اقتصر فيه الادب الرسمى على التعبير عن الارستقراطية الفكرية التى خلقتها ظروف مجتمعنا السياسية فى مراحل مختلفة من تاريخ حياته

أما سيرة « سيف بن ذى يزن » فيرجح الدارسون انها قد كتبت فى القرن الرابع عشر الميلادى .. ويستند الدكتور فؤاد حسنين فى اثبات هذا الرأى الى ان الشخصية الثانية فى السيرة ، وهى شخصية ملك الحبشة «سيف أرعد» شخصية تاريخية معروفة حكمت الحبشة فيما بين عامى ١٣٤٤ - ١٣٧٢ م .. وقد رأى الدكتور فؤاد حسنين أن اختيار مؤلف السيرة لشخصية «سيف أرعد» غير موفق لان بطل السيرة «سيف بن ذى يزن» من ابناء القرن السادس مما يجعل التناقض التاريخى واضحا

والواقع أن السيرة الشعبية لا تعترف بمنطق التاريخ فى تركيبها الروائى ، وهى من هذه الناحية أقرب الى الاسطورة منها الى الرواية بمعناها المصطلحى الحديث .. وكاتب السيرة لا ينظر الى الصدق التاريخى بقدر ما يهتم باختيار ما يلائم الهدف الاساسى الذى يكتب سيرته من أجله

وقد أفادتنا شخصية « سيف أرعد » فى تحديد زمان كتابة هذه السيرة ، وهى تفيدنا كذلك فى تحديد سبب كتابتها .. فـ«سيف أرعد» كما يقول الدكتور فؤاد كانت حياته امتدادا لسلسلة من أعمال القسوة والارهاب شنها والده « عمد اصيون » على المسلمين القاطنين فى تلك البلاد والاقطار المجاورة حتى أنه أغار على صعيد مصر وأطلق سراح بطريرك الاسكندرية الاب مرقص الذى كان قد قبض عليه والى مصر وسجنه لامتناعه عن دفع الجزية ..

ويذكر لنا كتاب « بين الحبشة والعرب » للدكتور عبد المجيد عابدين تفسيرا كاملا لظروف مصر فى ذلك الحين من ناحية علاقتها بالحبشة ، مما يمكن ان يلقى أضواء على سر كتابة هذه السيرة .. فيقول فى الباب الثانى من الكتاب : « كان بين الاحباش والقبط علاقات مودة واخلاص ، وكثيرا ماكان يهاجر الاقباط الى الحبشة حين يحسون من الوالى ظلما وعنتا .. حدث هذا فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى ، كما حدث فى أوائل القرن الثالث عشر أن لجأ عدد كبير من الاقباط الى ملك الحبشة « لا ليبلا » على اثر ما انزله بهم السلطان الكامل ناصر الدين الايوبى من اضطهاد فى الوقت الذى كان الصليبيون

يحاصرون فيه مدينة دمياط سنة ٦١٨ هـ . ولا شك أن هؤلاء الفارين قد بثوا شكواهم الى ملك الحبشة وطلبوا حمايتهم من السلطان الايوبى . وكانت الحروب الصليبية فى ذلك الحين فى أواخر عهدها، وكانت بلاد الحبشة على معرفة تامة بذلك الشعور التعصبى الذى ساد أوربا والشرق فى ذلك الحين .. بل من المحقق أن الحبشة قد مثلت دورا هاما فى تلك الافكار الصليبية التى شاعت فى ذلك الحين »

فالعلاقة اذن بين الحبشة والعالم الاسلامى بعامة ، ومصر بخاصة ، كانت انعكاسا للحروب الصليبية التى تركت آثارها فى الشرق والغرب على السواء ، والتى حددت طبيعة العلاقة بين الشعوب التى كانت وقودا لهذه الحروب .. وقد خلفت هذه الحروب وما بثته من روح متعصبة فى نفوس الناس مجموعة ضخمة من الاساطير فى الشرق والغرب على السواء .. من هذه الاساطير أسطورة القسيس يوحنا التى تحكى تأسيس امبراطورية مسيحية تحت زعامته يسكنها أشخاص خياليون ورجال عيونهم فى صدورهم ، وهى مهد بعض الحيوانات والزواحف المخيفة المفزعة التى لا تعيش الا على لحوم الآدميين ، والمخلوقات العجيبة التى تتركب أجسامها من رءوس الطيور ذات الاجنحة وأجسام الحيوان ومخالب الوحوش ، ولها ذيول من الافاعى الحية ..

ونحن نشير الى هذه الاسطورة لأن سيرة سيف قد أعتمدت على ما جاء بها فى خداع الملك قمرون بواسطة الحكيمة عاقلة عن الوصول الى معرفة مكان « سيف بن ذى يزن » .. ونحن نشير اليها ايضا لانها ترسم صورة لعلاقة الاحباش بالتعصب الدينى الصليبى الذى تغلغل فى العالم المسيحى فى ذلك الوقت .. بل لقد جاء فى رسالة الاستاذ حامد عمار عن « علاقات الدولة المملوكة بالدول الافريقية » فيما نقله عنها الدكتور عبدالمجيد عابدين انه كان فى بيت المقدس دير يعد نواة للاحباش يقيمون فيه ، وهو دير عرف باسمهم ، يرجح انه ظهر ابان الحروب الصليبية ، وقد شمله صلاح الدين بعطفه وسماحته عندما دخل بيت المقدس سنة ١١٨٧ م ، واطلق عليه اسم دير السلطان ، وله رئيس يعرف باسم « ممهر » ـ أى المعلم ـ يعينه ملك الحبشة ، وكان لوجود هذا الدير الحبشى ببيت المقدس أهمية من حيث علاقة الحبشة بالحروب الصليبية ، لأنه كان الوسيلة لايصال أبناء الصليبيين تباعا الى الاحباش ..

وهكذا نحس أن الحبشة صاحبة دور فى الحروب الصليبية ، وأنها

كانت تتحين الفرص للاشتباك بالمسلمين .. وفى عهد « الظاهر بيبرس » حدث صدام بينه وبين « يكونو » ملك الاحباش انتهى برسالة يستعطف فيها ملك الاحباش الظاهر ويسترضيه .. الا أن القرن الرابع عشر يحمل صورة من المعاملة الجافة بين مصر والحبشة تتضح فى الرسائل شديدة اللهجة المتبادلة بينهما ، بل لقد أخذ الاحباش يهاجمون مسلمى الطراز المتاخمين لحدودهم .. ونجد فى « صبح الاعشى » ـ الجزء الخامس ـ أن هذه الحروب قد افزعت مسلمى الطراز ، فلجأوا الى سلطان مصر ليستكتب البطريق رسالة الى ملك الاحباش ليكف عن أذية من فى بلاده من المسلمين .. وصدرت المراسيم السلطانية للبطريق بكتابة ذلك ، فكتب الى ملك الاحباش كتابا بليغا شافيا فيه معنى الانكار لهذه الافعال

.. فاذا ما جئنا الى حكم نواى كرستوس « سيف أرعد » «١٣٤٤ ـ ١٣٧٢ » نجد كتب التاريخ تذكر أن سلطان مصر طلب من بطريق الاسكندرية زيادة الضرائب المقررة على المسيحيين .. فرفض البطريق فزج به فى السجن ، فلما سمع بذلك « سيف أراعد » قبض على جميع التجار المصريين فى مملكته وطرد قوافلهم من بلاده .. واضطر السلطان الى أن يطلق سراح البطريق تحت ضغط التجار الذين تأثرت أعمالهم

ويذكر الدكتور عبد المجيد عابدين أن « سيف أرعد » هذا قام بنصيب كبير فى محاربة ملوك « الطراز » المسلمين ، وظلت هذه الحروب طول حياة « سيف أرعد » وطول حياة ابنه « نواى مريم ابن سيف أرعد » .. وما تصل سنة ١٣٨١ م حتى نقرأ عن حملة للجيش الحبشى تصل حتى أسوان

***

وفى هذه الفترة التاريخية اذن ، والتى يرجح أن سيرة « سيف ابن ذى يزن » قد كتبت فيها ، كانت الحبشة تمثل عند المصريين مركزا من مراكز العدوان على العالم الاسلامى بعامة ، وعلى بلادهم بخاصة ، وكان من الطبيعى أن ينعكس هذا على الوعى الشعبى وأن يظهر فى تعبير الشعب عن نفسه

ونحن نرجح أن سيرة « سيف بن ذى يزن » كتبها مؤلفها كعملية تعويض فنى عما يعانيه من قلق واضطراب نتيجة التهديد الحبشى الدائم لامته وسلامته ، كما لعله شاء بهذه السيرة أن يحقق للشعب العربى انتصارا حاسما على أعدائه يعيشه ويرويه ويحكيه على مدى

الاجيـــال ..

والسيرة فى هذه الحالة رد فعل واضح لما يعانيه الشعب العربى فى ولاية « الطراز » الاسلامية من اضطهاد من ملوك الاحباش ، ولما يحس به المصريون من تهديد دائم لحدودهم .. وكان « سيف أرعد » الملك الحبشي يمثل العدو الحبشى تمثيلا كاملا .. وكان لابد من البحث عن بطل عربى يقوم بتمثيل الشعب العربى فى المعركة الروائية الدائرة وينتصر عليه ..

وقد اختار القاص « سيف بن ذى يزن » لهذه المهمة .. وأسباب هذا الاختيار واضحة ومفهومة ، فقد بحث القاص عن شخصيةعربية قامت بدور تاريخى معروف فى حرب الاحباش ليدور حولهبحوادث السيرة ، وقد استطاع أن يجد هذه الشخصية المطلوبة فى الملك الحميرى « سيف بن ذى يزن » ، فقد استطاع الاحباش أنيستولوا على ملك اليمن منذ حوالى عام ٥٢٣ م ، وذلك بمساعدة الروم وفى حملة شبه صليبية .. اذ تذكر كتب التاريخ ان « ذا نواس » اعتنق مع شعبه دين اليهودية ، وأخذ يحمــل باقى أهالى اليمن على هــذا الدين ، وكانت النصرانية قد انتشرت فى نجران ، فأبى أهل نجران أن يغيروا دينهم .. فحفر لهم أخدودا وملأه نارا وأحرقفيه جمعا غفيرا وقتل بالسيف قوما آخرين ، فأرسل ملك الحبشةبالاستعانة بملك الروم حملة أخرى على « ذى نواس » وقتلوه واســتولوا على اليمن وأقاموا عليها ولاة من عندهم .. الا أن اليمنيين لم يكفوا عن مقاومة الاحباش الغزاة طوال حكم غازيهم «أبرهة» وابنه « يكسوم» .. ويقول الدكتور عبد المجيد عابدين : « وكان « سيف بنذى يزن » ممن لعبوا دورا هاما فى هذه الآونة ، وهو رجل من أذواء حمير من اسرة عريقة فى اليمن ، سمعنا عن بعض أفرادها منذ عهد « ذى نواس » و « أبرهة » وكان للاسرة اتجاه سياسى واحد ، هوالتمسك باستقلال اليمن وانفصالها عن السلطان الاجنبى » .. ويروىالطبرى فى الجزء الاول قصة « سيف بن ذى يزن » وكيف خرج الى ملك الروم فلميجد عنده مايحب، ووجده يحامى علىالحبشة لموافقتهماياه على الدين ، فلجأ الى كسرى واقنعه .. فأرسل معه قوة منالجيش تمكنت من هزيمة الاحباش وملك « سيف » على اليمن

فاختار القاص العربى شخصية « سيف بن ذى يزن » ليصور فيه كفاح الشعب العربى وبطولته ، يقوم على ماعرف فى التاريخ مندور لهذا الملك فى هزيمة الاحباش ، ورغم أن « سيفا » كان يعيش فى

القرن السادس الا أن خيال صاحب السيرة لم يجد غضاضة فى الاستعانة به لتحقيق هدفه الروائى وخلق بطولة عربية تهزم الاحباش وتستند على سند من التاريخ الثابت المعروف ..

وهناك سبب آخر نرجح أنه شجع على اختيار شخصية « سيف بن ذى يزن » .. ذلك أن الملك « سيفا » كان يعيش قبل الاسلام ، ومعاركه انما هى فى سبيل تثبيت معانى الايمان بمعناه المطلق أو الاسلام القديم ، ونبيه الخليل ابراهيم .. ووضع القاص أمامه الاحباش عبادا للنجوم ، وبذلك استطاع ان ينجو من مأزق خطير ، وهو أن تصبح السيرة مجالا للتعصب الدينى .. ولو اختار القاص بطلا عربيا معاصرا لاضطر اضطرارا أن يقيم معارك بينه وبين المسيحيين أو القبط بخاصة ، لان الاحباش كانوا قبطا ، ومعلوم أن المسيحيين المصريين من القبط أيضا

واستغلاله لهذه الشخصية التاريخية جعله ينجو من مأزق التعرض لحرب الاديان ..

***

ويدلل الدكتور فؤاد حسنين على أن هذه السيرة قد كتبت فى مصر مستشهدا على ذلك بمعرفة المؤلف بكثير من أسماء المدن المصرية واستخدامه لها ، وكذلك استخدامه للكثير من التعبيرات المصرية الشائعة ، ونحب أن نضيف الى ما كتبه الدكتور فؤاد حسنين فى كتابه « قصصنا الشعبى » أن دفاع السيرة عن موقف العرب ازاء الاحباش دليل قاطع على هذه القضية ، لان الاحباش كما قدمنا كانوا ملاذا للمضطهدين من القبط المصريين ، كما كانوا دائمى الاغارة على حدود مصر الجنوبية .. كما أن القضايا التى دافعت عنها السيرة تكاد تكون قضايا مصرية خالصة ، منها مثلا قضية ماء النيل ، فالسيرة تبدأ فى فصولها الاولى بكفاح « سيف بن ذى يزن » لاسترداد كتاب النيل ويتمكن من استرداده واجراء ماء النيل الى أرض مصر ، وبهذا يصبح ماء النيل حقا مصريا خالصا لا يدعى الاحباش أنهم يستطيعون منعه عنهم .. وهى الدعوى التى نلمح صداها فيما بين الاحباش وولاة مصر من مكاتبات رسمية وفيما ترويه كتب التاريخ من تهديدات الاحباش للمصريين . ونفس « سيف » هو الذى تمكن من اجراء ماء بردى ، ثم ينجب ولدين أحدهما مصر ، ويحكم مصر ويعمرها ، والثانى دمر ويملك الشام ويعمرها .. وكأنما أراد كاتب السيرة المصرى الذى عاش حوالى القرن الرابع عشر ـ أو أوائل الخامس عشر ـ الميلادى

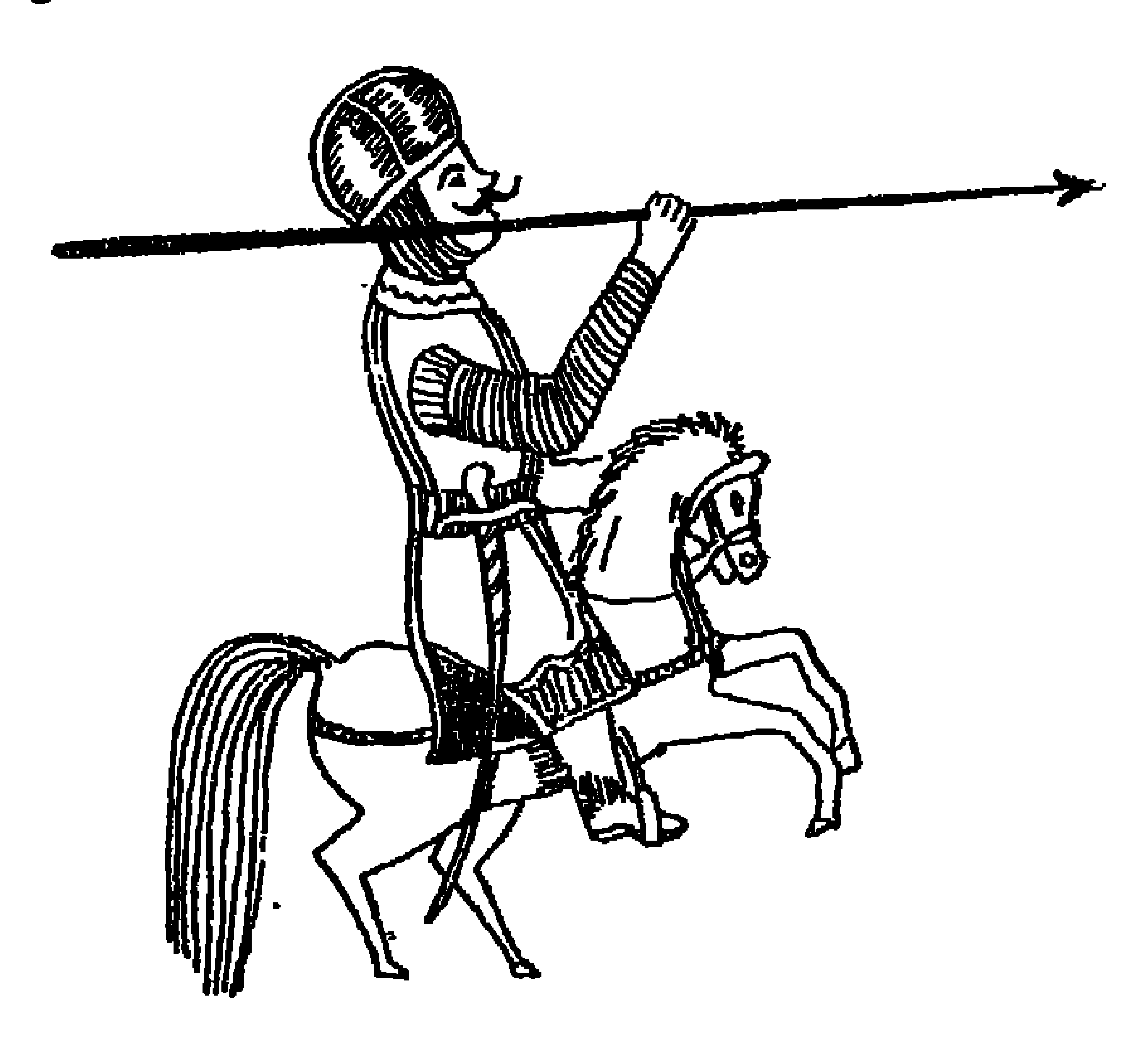
أن يرسم صورة للوحدة العربية متمثلة فى ذلك البطل اليمنى الذى يحطم قلاع الكفر ، ويثبت معالم الاسلام ٠٠ الدين العربى القديم ، دين الخليل ابراهيم ، ثم ينجب ولدين أحدهما مصر والثانى دمر ، أحدهما يتولى حكم مصر وانشائها والثانى يتولى حكم الشام وانشائها ..

و « سيف بن ذى يزن » فى حاجة ـ كما أن كل السير الشعبية فى نفس الحاجة ـ الى دراسات منهجية جادة لتبرز مدى وعى الشعب العربى بقضاياه من خلالها ، كما تبرز مدى تمكن أصحاب السير من فنهم القصصى المتكامل ..

***

لهذا كله نقدم لك سيرة « سيف بن ذى يزن » كنموذج حى لهذه السير .. كما نقدمها لك ملتزمين الاصل الذى تناقلته الرواة بقدر الامكان حتى ليمكننا أن نقول ان كل ما تم من تغيير هو ادخال الفن الروائى المعاصر فى تقديم العمل نفسه ، وما يبيحه هذا الفن من حرية فى السرد أو استعمال للحوار أو استخدام للمنولوج الداخلى فى جلاء معالم الشخصيات وربط الاحداث .. وقد كان مبررنا فى هذا أن هذه السير قدمت فى كل عصر بحسب فهم الراوى لروح العصر ونفسية المتلقين ، وليس فيما فعلنا بجديد على هذه السير التى تكاد شخصيتها الاصلية تتوه فى ضمير التاريخ ..

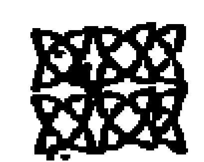
فاروق خورشيد



شخصيات الرواية

الملك ذو يزن
الملك سيف أرعد
الوزير يثرب
الملك بعلبك
الحكيم سقرديوس
الحكيم سقرديون
الملكة قمرية
الوزير بحر قفقان الريف
جارية الملكة قمرية
الصياد
الملك أفراح
الملك سيف بن ذى يزن
زوجة الملك الابيض ملك الجان
حاضنة وحش الفلاة
مطمطم خراق الشجر
الاعجمى
الملكة شامة بنت الملك أفراح

الكاهن السحار عبد نار
المختطف
سعدون الزنجى
الشيخ جياد
الملكة طامة
الحكيمة عاقلة
الملك قمرون
عاقصة
الشيخ عبد السلام
الملكة ناهد
الملك عبود خان
القبطان عبد الصمد
الحاجب دربال مناطح البغال
اخميم الطالب
الملكة جيزة
عيروض



القسم الأول



وحش الفلاة

الفصل الأول

التوبة

كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والاوان ، ملك من الملوك السابقين ذو عز وتمكين ٠٠ يخشى الناس من سطوته ، وتفزع الملوك من هيبته ، لانه قوى الاركان ، شديد البطش والسلطان .. وكان اسم هذا الملك « ذا يزن » ٠٠

وكان لهذا الملك وزير عاقل ، مرفوع الرتبة ، مقبول الكلمة ، له السطوة على كل الجنود ٠٠ وكان اسمه « يثرب » ٠٠ وكان الوزير « يثرب » قد قرأ الكتب القديمة ، والملاحم العظيمة ، فوجد فى التوراة والانجيل ، وفى صحف ابراهيم الخليل ، وفى مزامير داود عليهما السلام اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه يظهر من قريش من بنى هاشم ، وأنه يظهر الاسلام ، ويبطل الكفر والطغيان .. فترك الباطل ، واتبع الحق ، وصار من عباد الله الصالحين . ولكنه كتم ايمانه فى قلبه ، ولم يخبر به أحدا ..

أقبل العيد على الملك « ذى يزن » فخرج الى ظاهر المدينة ، وخرج الناس لخروجه ، كما خرج العساكر والجنود ، ولم يبق بالمدينة أحد الا وخرج لخروج الملك ٠٠ ونظر الملك « ذو يزن » الى كثرة عساكره وعدد اتباعه ، ففرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد ، وقال :

— وحق اللات والعزى ما حاز ملك مثل هذا العسكر الجرار

والتفت الى وزيره « يثرب » وقال له :

— يا « يثرب » .. أنا أعرف انك بالامور خبير ، ترى أتعرف فى جميع ملوك الارض ملكا أكبر أو أعظم جندا منى ، أو فى الجاه والسلطان يماثلنى ؟

قال الوزير « يثرب » :

— أعلم أيها الملك الهمام ، والاسد الضرغام ، أن فى بلاد المشرق

ملكا يقال له « بعلبك » ، صاحب همة وبأس ، وله من الفرسان والرجال ابطال كأنهم الاسود ، لا يخافون الموت

ثم ان ذلك الملك جعل له قبة خارج المدينة ، وتحتها كنز من الجواهر والفضة والذهب ، وتلك القبة مبنية من الفضة والذهب ، وفيها من المصابيح البلور مائة وعشرون توقد من داخلها ومن ظاهرها، وهلال تلك القبة قطعة من الجوهر تزن عشرين قيراطا ، ومن حول تلك القبة بستان فيه من جميع انفواكه الوان تنبت بقدرة الرحمن الرحيم ، والى جانب تلك القبة قصر ينفى الهموم ، ويزيل الغم عن المغموم ..

وبان الغضب على الملك « ذى يزن » .. فما كاد الوزير « يثرب » ينتهى من كلامه حتى صاح :

ـ وحق اللات والعزى لابد أن أسير الى هذا الملك الكبير وأقتله حتى لا يعود ذكره يدور على السنة الناس ، ثم أدور على أرجاء الكون شرقا وغربا ، ولا أبقى من الملوك أحدا ، حتى لا يصبح فى هذه الدنيا من يزيد قدره على قدرى ، ويسير ذكره الى جوار ذكرى ..

وانقضى العيد .. ومرت بعده أيام وأيام ، وتذكر الملك ذات يوم عهده الذى قطعه على نفسه ، فاستدعى وزيره الامين ، وأمره أن يجهز الركب الى بلاد الملك « بعلبك » .. ومضى الوزير يصدع للامر ، ويعد جيش الملك « ذى يزن » برجاله وعتاده وأقواته ، فلما أحس ان الجيش قد اخذ اهبته ، صف الجنود فى خارج المدينة ، وذهب الى الملك يعلمه أن الجيش قد أعد .. فقام الملك من مجلسه ، وركب الفيل ، وخرج الى خارج المدينة ، ومضى يتفقد جنوده المصطفين ، وسعد الملك بعدد جنوده الكبير ، وعدتهم الوفيرة ، ونظامهم الكامل.. وعندما انتهى من تفقد جيوشه أمر بالاستعداد للمسير فى الغد ، ثم انصرف ..

وما أن أشرقت شمس الصباح حتى ركب الملك ، وأمر الحجاب أن ينادوا فى الجند بالرحيل .. وسار الموكب الكبير يهز الصحراء بأفياله وأبطاله وقواده ، ومضت أيام ثلاثة ، وأقبل الجيش فى اليوم الرابع على بيت الله الحرام ..

ونظر الجنود فاذ بالوزير « يثرب » ينزل عن راحلته ، ويسجد أمام البيت الحرام ، واسرع اليه الملك « ذو يزن » غاضبا وهو يصيح :

ـ ما هذا الذى تفعل يا « يثرب » ؟!

واستوى « يثرب » واقفا ، وهو يقول :

ـ أعلم أيها الملك أننا قد أتينـا بيت الله الحـرام ، ومنزل ملائكته والانبياء والرسل العظام ، فهـذا بيت الذى خلق السـماء والارض والجبال ..

فقال « ذو يزن » :

ـ أنا لا أعرف من الآلهة الا اللات والعزى ..!

ـ أيها الملك الهمام ، ان اللات والعزى شيء خلقه الذى هذا بيته..

ـ ومن الذى عمر هذا البيت ، ولم يكن هنا الا الخراب ؟

فقال الوزير « يثرب » :

ـ أعلم أيها الملك ان الله تبارك وتعالى أمر آدم عليـه السـلام أن يسير الى الكعبة ويعمر البيت الحرام ، ووضع جبريل القواعد وعلم آدم البنـاء .. ثم أمر جبـريل آدم أن يحج الى البيت كل عام ومعه الملائكة ..

وكان الملك « ذو يزن » يسمع حديث « يثرب » صـامتا ، فلمـا انتهى من كلامه قال له :

ـ يا « يثرب » .. ماذا تأمرنى أن أفعل فى هذا البيت ؟..

ـ انزل ، وطف به ..

فأمر الملك بنزول العسـاكر ، ثم دخـل هو والـوزير « يثرب » ليطوفا بالبيت ..

***

كان الملك « ذو يزن » يجرى ويطوف بالبيت ، وهو يديم اليه النظر .. وكلمـا أطال « ذو يزن » النظـر الى البيت زاد فى قلبه حديث الغرور .. ومضى يحدث نفسه أن يهدم البيت ، وأن يأخذه ليفتخر به على جميع ملوك الارض ، فلا يعلو على مكانته احد ..

وما أن انتهى الملك من الطواف حتى كان هذا الامر قد استقر فى قلبه وملك عليه لبه ، فأمر الوزير أن يعـود معه الى الصـيوان .. وعاد الملك والوزير الى الصيوان ، وكل منهما يسبح فى أفكاره وتأملاته .. وما أن اسـتقر الملك فى مكانه من الصـيوان حتى التفت الى وزيره « يثرب » ، وقال له :

ـ اننى أريد أن أهدم هذا البيت ، وأن انقل حجارته الى بلدى ، وأفخر به على سائر ملوك الارض ..

قال له الوزير :

ـ أيها الملك .. ان البيت له رب يحميه ، فلا تطع حديث نفسك

تندم حيث لا ينفع الندم ..

فغضب الملك وثار ، وصاح فى ثورة :

— وحق اللات والعزى لابد من هدمه .. ولن يجرؤ أحد أن يقول لـ « ذى يزن » كلمة لا ...

وأمر الملك باحضـار المهندسين والبنائين والقطاعين ، وغير هؤلاء من أصحاب المهن ، وأمرهم أن ينقضوا بناء البيت حجرا بعد حجر بحساب ، وبعد أن ظل زمنا يوضح لهم حقيقة ما يريد ، صاح فيهم :

— واعلموا أن كل من كسر حجرا كسرت رأسه ، وأخمدت حسه..

وانصرف الجميع من أمامه يهرولون الى خيامهم يتدبرون أمر ما كلفوا به ، ويعملون للغد المقبل بهذا العمل الغريب كل حساب ..

أما الملك « ذو يزن » فمـا أن خلا من حوله الصـيوان ، وانفض الاتباع والجند حتى آوى الى فراشه مجهدا من تعب النهار ، وأحلام النفس ، ومنى العظمة والتفوق ..

وأقبل الصباح ، وأفاق الملك من نومه ، فاذا هو قدر الفيل العظيم وقد تورم جسده ، وتضخمت أعضاؤه .. فأخذه الانذهال ، ومضى يصيح من فرط الانفعال طالبـا وزيره « يثرب » .. وعاد الحجاب بالوزير ، الذى أسرع الى الملك وهو يردد :

— ما الخبر أيها الملك السعيد ..؟

فأن الملك وقال :

— لقد أصبحت فوجدت نفسى على هذا الحال ..

قال له الوزير :

— يا ملك الدنيا ، هذا سهم رماك به رب البيت ..

— يا « يثرب » .. اشهد على أنت وكل الحاضرين ، انى صرفت نيتى عن هدم هذا البيت ، وآمنت بربه ..

ومضى الوزير يعظ الملك ، والملك « ذو يزن » يعلن التوبة والندم ، الى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ، فطاف بالملك طائف النوم ، وانصرف القوم ..

وما زال « ذو يزن » فى نومه حتى الصباح .. فلما أفاق رأى نفسه صحيحا سـليما ، ونظر الى البيت فاستحسنه ، واعجبه آكثر مما أعجبه أول مرة ، وحدثته نفسه مرة أخرى بهدم البيت ، وزعمت له ان ماكان به ما هو الا عارض قد زال .. فأحضر المهندسين والبنائين ، وأمرهم آن يعدوا العدة لهدم البيت اذا ما جاء الغد ..

وعندما نام الملك هذه الليلة ، استيقظ على ورم أخبث من سابقه ،

فأمر باحضار الوزير الذى قال له :

ـ يا ملك الزمان ، إنت آمنت برب هذا البيت أول مرة ورجعت عن نيتك ، فعد الى الحق واصرف نيتك عن هدم هذا البيت ، وآمن برب هذا البيت وبنبيه الخليل ابراهيم ..

فأجاب الملك وزيره الى ما أراد .. وباتتلك الليلة وأصبح ، فوجد نفسه سليما معافى ، وسرعان ما رجع الى نيته الخبيثة ونقض عهده للوزير .. وما أن بات وأصبح حتى وجد نفسه فى حال أشد مما مر عليه .. وحضر الوزير « يثرب » الى الملك العليل ، فلما رآه الملك أطلق الله لسانه واندفع يقول :

ـ أيها الوزير ، ما بقيت فى نفسى القدرة على طلب المحـال ، وانى أعلن لك عزمى على الرجوع عن هذه الافعال

قال له الوزير « يثرب » :

ـ لقد آمنت مرتين ورجعت ، وان أنت عدت مرة أخرى فأنت من الخاسرين الهالكين ، وتلحق بالقوم الكافرين .. وان أنت آمنت حقا وصدقا برب هذا البيت وبنبيه ابراهيم الخليل عليه السـلام بعدت عن العذاب بعد اليقين ، ومصيرك الى جنات النعيم ..

قال « ذو يزن » :

ـ أيها الوزير العاقل اللبيب ، اشهد انى قائل على يديك أشـهد أن لا اله الا الله وأشهد أن ابراهيم خليل الله ..

وأمر جنده بالاسـلام فأسلموا ، عنـدئذ أظهر الوزير « يثرب » ايمانه وأعلنه .. وحين نام الملك هذه الليلة رأى هاتفا يصيح به أن يكسو البيت الشريف .. وفى الصباح أمر بكسوة البيت خسـفا ، ولكنه عندما نام جاءه الهاتف مرة ثانيـة يأمره أن يكسـو البيت غير هذا ، فأمر فى الصباح أن يكسى البيت بالحرير .. وما انقضى النهار حتى كان الصناع قد فرغوا من أمر الكسوة ، ونام الملك واذا بالهاتف يأتيه للمرة الثالثة ويأمره أن يكسو البيت غير هذا .. فلما أفاق من نومه أمر بزركشة الكسوة بالفضة والخز والذهب .. وصـارت هذه الكسوة تقليداً عنه لمن جاء بعده من الملوك ..

أما الملك « ذو يزن » فقـد أمر جيشه بالتحرك ، وسـار الجيش بفرسانه وجنوده يشق السهول والوديان ، فرسخا وراء فرسخ ، الى أن قطع سبع فراسخ .. وما أن أهل الجيش على الفرسخ الثـامن حتى وجد القوم انفسهم فى واد نضر الاشجار ، متدفق الميـاه ، فيه الطيور والجوارح والحيـوان .. فأمر الملك « ذو يزن » جنـوده

بالنزول فى تلك الارض ..

وفى الصباح اقبل الوزير « يثرب » على الملك « ذى يزن » ومثل بين يديه وقال :

ــ اعلم أيها الملك اننى رأيت فى الكتب القديمة والملاحم العظيمة أن الله تعالى يبعث فى آخر الزمان نبيا هاشميا قرشيا ، يهاجر من مكة الى هذه الارض الطيبة ويكون بها مسكنه وقبره ، وأحب أن أبنى فى هذه الارض مدينة ..

فأذن الملك ، واجتهد الوزير فى عمارة المدينة وبنائها ، ثم أسكن فيها قوما من قومه بنسائهم وأولادهم وسمى المدينة باسمه يثرب .. ثم شد الملك « ذو يزن » ورجاله الرحال يقطعون الفيافى والآكام .. قاصدين ديار الملك « بعلبك » ..

***

تواترت الاخبار الى الملك « بعلبك » بأن الملك « ذا يزن » قد نزل على البلد بجميع عساكره ، فأوفد حاجبا من حجابه الى الملك « ذى يزن » برسالة من عنده ، ورد عليه الملك « ذو يزن » برسالة أخرى .. فأمر الملك « بعلبك » باقامة الضيافة للملك «ذى يزن» وعسكره لمدة ثلاثة أيام .. وفى اليوم الرابع ركب الملك « بعلبك » مع وزرائه وحجابه قاصدا الملك « ذا يزن » فى سرادقه .. فخرج « ذو يزن » للقائه ، ورحب به وبمن معه ، وصحبهم الى سرادقه ، وأمر بالطعام والشراب ..

ودار الحديث بين الملكين ، وحكى « ذو يزن » للملك « بعلبك » ما دار بينه وبين وزيره « يثرب » حول عظمة الملك « بعلبك » وكثرة جنوده ، فابتسم الملك « بعلبك » ووعد أن يريه مصداق ما أخبره به « يثرب » فى الغداة ..

وفى صباح اليوم الثانى ، خرج الملك « بعلبك » على رأس جنوده يعرض عساكره وعدتهم على الملك « ذى يزن » الذى أخذه الانذهال وتعجب من كثرة الرجال .. ثم عاد الملك « بعلبك » الى داخل مدينته ، وأرسل يطلب الملك « ذا يزن » ليزوره فى قصره ..

وعندما وصل الملك « ذو يزن » وسط حاشيته ، قام له الملك « بعلبك » فأخذ بيده ورحب به وأجلسه الى جواره ، وجاء الطعام فى أوان من الجوهر والذهب الاحمر .. وما ان انتهى الطعام حتى أخذ الملك « بعلبك » يعرض على ضيفه خزائن الاموال ، وبهرت كثرة المال « ذا يزن » فقال للملك « بعلبك » :

ـ انى نظرت الى عسكرك ورجالك وأموالك وذخائرك ، وبقى لى أن أنظر الى شيء آخر وهو شجاعتك ..

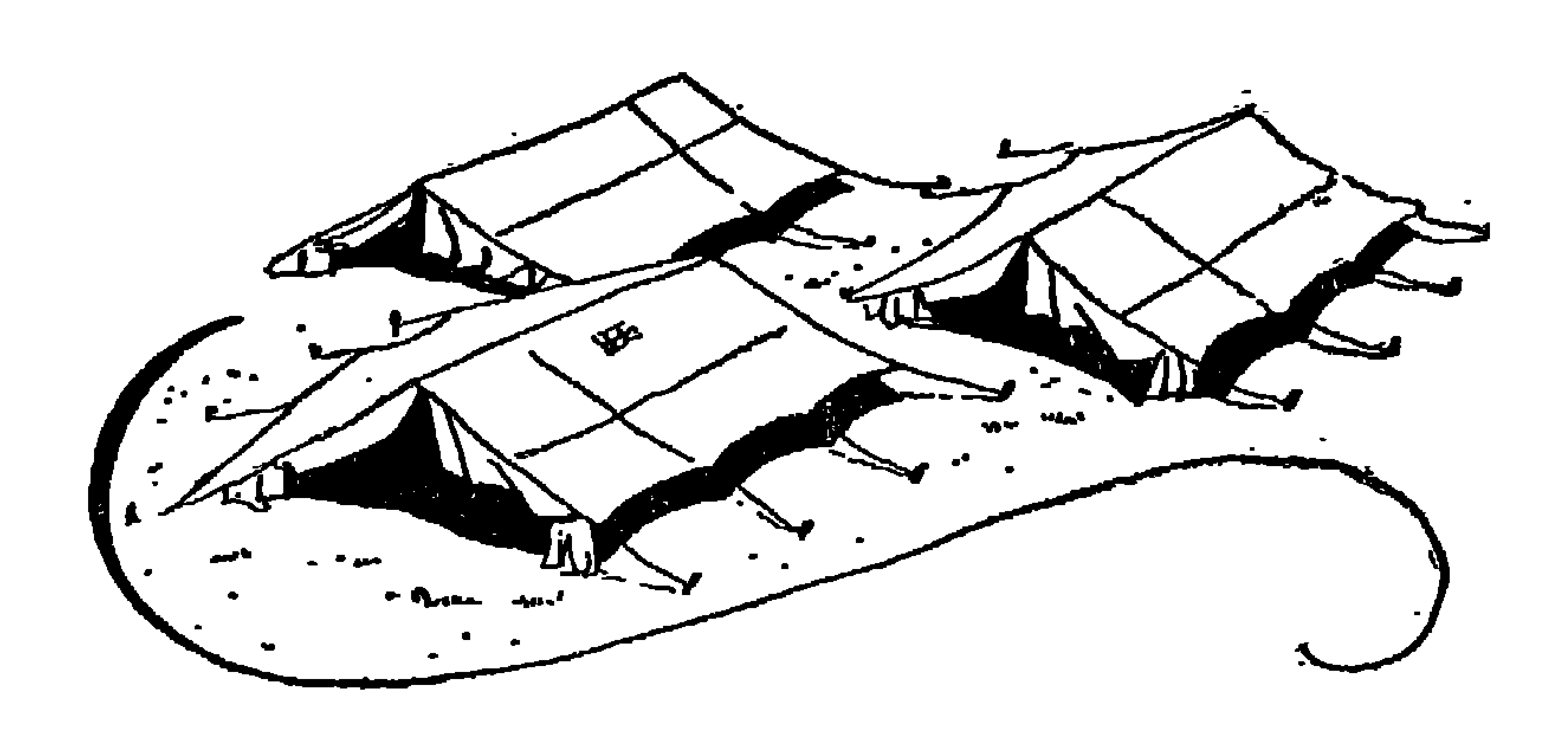
فقال الملك « بعلبك » :

ـ وقد أجبتك الى ما تريد ..

وفى الصباح ركب الملكان ، وتقلد كلٌ منهما بعدة كفاحه ، وركب الفرسان ينظرون ما يجرى بين الملكين .. وظل كل منهما يصول فى الميدان ويجول ، وقد ظهر من طعناتهما انهما ندان لا يشق لهما غبار ، وفارسان ليس مثلهما فى معرفة الطعان والنزال .. ومضى النهار ولم ينل أحدهما من الآخر .. وافترق الملكان حين أقبل الليل ، وكل الحضور يتعجبون من قوة بأسهما وشدة صلابتهما ..

وظلت المعركة دائرة ثلاثة أيام .. والغبار المنعقد حول الفارسين يحجبهما عن الناظرين . وما أن أوشك نهار اليوم الثالث على الزوال حتى كلت قوى الملك « بعلبك » ، وأحس من نفسه العجز والقصور ، فحول فرسه عن الميدان ، وأسرع هاربا وهو لا يصدق بالنجاة من شرب كأس الفناء ..

أما الملك « ذو يزن » فما أن هرب الملك « بعلبك » من أمامه فى الميدان حتى استولى على قصوره وامواله ، ودانت له عساكره ورجاله .. ثم أمر الرجال بشد الرحال . وسار الملك « ذو يزن » فى عسكر جرار ، لم يسمع به ملك من قبل ، يشق الارض ويقطع القفار .. الى أن اقترب بعسكره من بلاد الاحباش ، فأمر بحط الرحال ، لراحة الجند والرجال ..



الفصل الثاني

مكيدة !

وكان ملك الاحباش هو الملك « سـسيف أرعد » ، يحكم على كل ملوك الاحباش والسودان ، وتخافه جميع الفرسان ، ومدينته تسمى مدينة الدور ، وكان عدد عساكره ستمائة ألف فارس ، من كل مدرع ولابس .. وكان وزيره « بحر قفقـــان الريف » قد قرأ علم الامم الماضية ، فوجد فى الكتب القديمة أنه يظهر فى آخر الزمان نبى قرشى تختم به الانبياء والرسل ، فأسلم « بحر قفقان » وآمن ، ولم يطلع أحدا على ايمانه اذ كان قومه يعبـدون الكواكب دون الملك الغلاب عز وجل .. وكان للملك « سيف أرعد » حكيمان شيطانان ، على الكفر مقيمان ، وبالشر يجهران ويبطنان ..

***

استـــدعى الملك « سيف أرعد » أرباب دولته ، وهما الحكيمان والوزير « بحر قفقان » وقال لهم :

ــ انظروا الى هؤلاء العرب ، الذين عدموا العقل والأدب ، والذين نزلوا فى أرضنا .. لقد عزمت أن أغزوهم ، وأقتل كبارهم وصغارهم

قال له الحكيم « سقرديوس » :

ــ تمهل أيها الملك ، وأسمع نصيحتي ، ولا تشتبك معهم فى قتال أو صدام لانى قرأت فى الكتب القديمة أن صدام الاحباش والعرب لا يتأتى علينا بخير ، ولا يجر علينا الا الويل ..

وبينما هم يتحادثون اذا بالحجاب يدخلون جماعة من التجار قد أتوا الى المدينة ، وقبل التجار الارض بين يدى الملك ، وقال كبيرهم :

ــ يا ملك الزمان ، بينما نحن سائرون ، والى مدينتكم قاصدون ، وجدنا فى طريقنا مدينة حصينة فى الأرض الحمراء لم ننظرها من قبل

هذا الزمان ، وهى مشيدة الاركان ، محصنة الأسوار ، ذات أبراج ترمى بالنار ..

وما أن سمع الملك « سيف أرعد » هذا الكلام حتى صار الضياء فى عينيه ظلاما ، واشتد به الغضب ، والتفت الى الحكيم «سقرديوس» وقال له :

ـ لقد كنت معولا على غزو هذا الملك فنهيتنى أنت عن هذا الأمر ..

قال « سقرديوس » :

ـ لولا أن هذا الملك يحس فى نفسه القوة والمنعة ما أتى الى أرضنا ، وسلك هذا السلوك ، ولكن يا ملك الزمان نحن نخادعه ونأخذه بالحيلة والتدبير ..

ـ وما الحيلة والتدبير ؟ ..

ـ أيها الملك ، الحيلة أن ترسل اليه هدية ، ومن جملتها جارية من أجمل جواريك ، وتعطيها حقا صغيرا فيه مثقال من السم الخارق ، وتوصيها أن تسقيه هذا السم فى الشراب أو تضعه فى الطعام فيموت لوقته وساعته ، وترتاح بعد ذلك من رؤيته .. فاذا مات رحل قومه من غير حرب ولا قتال ..

فابتسم الملك « سيف أرعد » ، وأمر باحضار الخازن فى الحال ، ثم أمره أن يعد هدية عظيمة تليق بأقدار كبار الملوك .. ثم أمر باحضار الجوارى بين يديه ، وجعل ينظر اليهن وهن يسرن أمامه ، الى أن نظر جارية ذات حسن وجمال ، وقد واعتدال .. وما أن شاهدها الملك حتى أمر باحضارها اليه ، فحضرت وقبلت الارض بين يديه .. وما أن اقتربت منه حتى عرفها .. انها الجارية التى جاءت من بلاد العجم ، من مدينة يقال لها قمرا ، وكان جلابها يسميها «تحفة النار » .. وأما الملك « سيف أرعد » فقد سماها « قمرية » . وكان يعرف عنها الى جوار جمالها ما امتازت به من مكر ودهاء ، وقدرة على الكذب والاحتيال ... وقال لها الملك « سيف أرعد » :

ـ يا « قمرية » ، نحن نحتاجك فى مهمة خطيرة ، لا يصلح لها الا ذكاؤك ودهاؤك ..

قالت « قمرية » :

ـ أنا جاريتك ، فأمر انفذ ما تقول ..

وحكا لها الملك ما يريد ، وأعطاها حقا صغيرا به السم ، فأخذته وخبأته فى ذوائب شعرها ، ووضع الملك يده فى ذوائب شعرها فلم

يعثر للحق على أثر .. وارتاح الملك « سيف أرعد » واطمأن باله .
وامر لها بأفخر الملابس وأعظم الجواهر .. ثم أرسلها مع الهدية ومعها خطاب الى الملك التبع الحميرى « ذى يزن » ..

***

وكان الوزير « بحر قفقان الريف » يسمع ويرى ، وهو من خمسة الحكيم « سقرديوس » فى غيظ كظيم .. وما أن انفض مجلس الملك حتى أسرع الى بيته حيث اختلى بنفسه ، وكتب كتابا الى الملك « ذى يزن » يخبره بالجارية «قمرية» وما معها من سم تخفيه فى شعرها ، وما فى قلبها من خبث ومكيدة ، وختم خطابه بالسلام على الوزير « يثرب » الذى يعرف أمر ايمانه وصدق مشورته ، ورجاحة عقله .. ثم دعا اليه عبدا كان قد رباه ، وعلى الخلق القويم أنشأه وتعهده ، وأمره أن يأخذ الكتاب الى المدينة الحمراء ، مدينة الملك «ذى يزن» ، وأن يسلم الكتاب للملك على الا يظهر نفسه لانسان ..

***

دخل الحجاب على الملك « ذى يزن » فى مجلسه ، وأخبروه أن بالباب قوما يحملون هدية عظيمة ويدعون أنهم رسل الملك « سيف أرعد » ، فأمر الملك بدخولهم ..

ودخل الرسل الى حضرة الملك فقبلوا الارض بين يديه ، وقرأوا رسالة الملك « سيف أرعد » عليه ، ثم قدموا الهدية ، ووسطها الجارية « قمرية » .. وما أن نظر الملك « ذو يزن » الى الجارية حتى وقعت فى قلبه محبتها ، وبهره حسنها وجمال طلعتها .. فأمر أن يدخل الرسل الى دار الضيافة ، وأن يكرموا غاية الاكرام .. وأمر أن توضع الهدية فى خزائنه .. ثم هب من مكانه يريد أن يفض الديوان ليسامر الجارية « قمرية » ويتملى بطلعتها البهية .. واسرع اليه الوزير « يثرب » يهمس فى أذنه :

ـ مهلا يا ملك الزمان ، فربما تكون هذه الجارية مكيدة أو دسيسة وأعلم اننا دخلنا بلاد هؤلاء الاحباش وبنينا هذه المدينة وأقمنا حولها الاسوار من غير اذن ملكهم ، ولست آمن عليك من مكرهم وخداعهم ..

وقطع الحاجب حديث الوزير اذ استأذن فى دخول رسول من عند الوزير « بحر قفقان الريف » وزير الملك « سيف أرعد » .. فنظر الى الوزير « يثرب » ، ثم اذن للحاجب باحضار الرسول ، وقبل الرسول الارض بين يدى الملك « ذى يزن » ودعا له بدوام البقاء ، ثم أعطاه كتاب الوزير « بحر قفقان » .. وأخذ الملك الكتاب وأعطاه

لوزيره « يثرب » الذى فضه وقرأ محتواه ، والملك « ذو يزن » يسمع والغضب يشتعل فى قلبه ، والحنق يملك عليه زمام نفسه ..

وما ان انتهى الوزير « يثرب » من قـــراءة الكتاب حتى قال له الملك « ذو يزن » :

ـ ما أحسنك من وزير ، بعواقب الدهر خبير .. ولكن ماتدبيرك فى هذا الامر الخطير . . ؟ !

ـ أرى يامولاى ان تكشف للجارية أنك عـرفت أمرها وكشـفت سرها ، وأن تهددها بالقتل ان لم تظهر حق السم الذى معها ..

قـــال الملك :

ـ صدقت يا وزير .. ولولا ذكاؤك لوقعت فى هـــذا التدبير ، أما العبد الذى جاء بالكتاب فأحسن مثواه ، ورده الى سيده ، وأشكره على ما بدا من اخلاصه وشهامته . .

***

دخل الملك « ذويزن » والسيف فى يده مشهور ، والغضب عـلى جبينه واضح ، والنار فى عينيه تتلظى ، ورأت « قمرية » هذا فأحست أن أمرها افتضح ، وأن سرها قد عرف .. فهبت من مجلسها واقفة وهى تتأود كالغزال العطشان وقد شهرت فى وجه غضبه ســلاح جمالها وفتنتها .. وجعل الملك يهددها ، وجعلت هى تتأود وتتثنى وتلين له فى الكلام وتخضع له فى القول .. وصاح بها الملك :

ـ من أنت ، ومن أين أقبلت ؟

قالت وهى تنظر الى وجهه بعين فاحصة :

ـ أنا هدية يا ملك الزمان ..

فهدر الملك قائلا :

ـ بل انت هدية فى الظاهر وأذية فى الباطـن .. أين حق الســم الذى تخفينه يا شيطانة ..

فابتسمت فى وجهه وخادعته وهى تهمس لنفسها « أن قصر الفهد فيما بدا ، ان ما صاد اليوم صاد غدا » ثم أخرجت الحق من شعرها ، وتأودت ثم قالت :

ـ حقا يا مولاى انك لملك عظيم الشأن عالى الهمـــة ، وما كنت لاخدع رجلا كريما مثلك ، وملكا عظيما له مثل قوتك وعظمتك ..

وخدع الملك لمقالها ، وبهره جمالها وذكاؤها ، وأقبل عليهامشغوف

القلب مستطار الفؤاد ·· ومن يومها صارت « قمرية » اغلى الجوارى عنده وأكثرهن قربا الى قلبه وتحكما فى مشاعره ..

كان الملك « سيف أرعد » غاضبا أشـــد الغضب ، ســاخطا كل السخط ، ويقوم فى مجلسه ثم يقعد ، ويصرخ فى الجالسين حوله ثم يسكت ، حين دخل عليه « سقرديوس » وهو يقول :

ــ لقد وصل الرسول يا مولاى . .

ــ وماذا يحمل من أنباء الخائنة الغـادرة ، التى أرســلتها لتقتل « ذا يزن » فاذا بها تصحبه وتعيش فى قصره ··

ــ صبرا يامولاى ، انها تنفذ الخطة فى بطء وعلى حذر . .

ــ ولماذا البطء يا « سقرديوس » .. ؟

ــ انها حامل يا مولاى ·· .

فهب الملك صارخا وهو يهدر :

ــ أهى حامل ؟ ·· هذه الافعى التى لا تعرف لنفسها سيدا ··

ــ نعم يا مولاى .. وماذا تفعل وهى بين يديه ؟ .. لقد صــبرت عندما انكشف أمرها ، وجعلته يأمن جانبها ، فحكمها على ملكه وحكمها على قلبه ، واعطاها من السلطان والجاه فوق ما اعطى لوزيره ·· وعندما يموت ستملك الامر من بعده ··

ــ عندما يموت !! ·· لقد فشلت حتى الآن كل الوســـائل التى رسمتها أنت يا « سقرديوس » ..

ــ كلا يا مولاى .. فانى لم أخبرك بباقى رسالة الجارية « قمرية»

ــ وما باقى الرسالة ·· ؟

ــ الملك « ذويزن » فى النزع الاخير ، وهو اليوم على فراش الموت بفضل السم البطىء الذى أرسلته أنا ووضعته « قمرية » فى شرابه كل يوم جرعة ··

***

أرسل الملك « ذو يزن » يطلب وزيره ورجـال قصره ، فحضروا باكين الى فراش مرضـــه ، وقال لهم الملك «ذو يزن» وهو فى وهن الاحتضار :

ــ لقد جمعتكم أيها الرجال لاوصيكم وصية طيبة ..

قال الرجـــال المحزونون :

ــ وما الوصــية يا مولاى ؟

قال الملك المحتضر :

ـ أوصيكم بالايمان وتصديق رسالة الخليل ابراهيم ، وان تعلموا أن هذه الجارية حامل منى وهى الحاكمة عليكــم من بعدى الى أن تضع ابنها وتربيه ، فان كان الولد ذكرا فهو الحاكم عليكم ، وان كان انثى كان من يتزوجها هو الحاكم عليكم ..

بكى الرجال وأقسموا أن ينفذوا وصية الملك ، ودعوا له بطول العمر وانقضاء المرض .. الا أن سيف الموت كان قد وصل ، وكلمة القضاء قد حانت .. فسرعان ما قضى الملك نحبه ولحق بربه ..



الفصل الثالث

وادى الموت

تولت الجارية الخبيثة « قمرية » الملك بعد موت « ذى يزن » ، وأمرت ونهت فى الرجال ، وصلح لها الامر والحال .. ثم أكملت أشهرها ، وجاء وقت ولادتها .. فوضعت غلاما ذكرا كالبدر ، على خده شامة خضراء .. وقد نزل فى قلبها البغض للمولود من ساعة رأته ، وعرفت أنه ان عاش آخذ منها ملك أبيه فأضمرت فى نفسها الغدر .. وأخذت تهمل الغلام وتجيعه عسى أن يموت ، والغلام كل يوم فى ازدياد ونمو .. والغيرة معه تنمو فى قلبها الاسود وتفترس صدرها الخبيث . .

وعندما اكتمل للغلام أربعون يوما ، اجتمع الوزراء وأرباب الدولة وطلبوا رؤيته ، فألبسته وأجلسته على كرسى المملكة وهى تنظر من خلف ستار .. فاذ بهم يصطفون حسب رتبهم ، ويتقدم كل منهم الى كرسى الغلام فيقبل الارض بين يديه ويقول :

ـ جئت أيها الملك السعيد الى ملك والدك ، ونحن لك من جملة الخدم والعبيد ..

وكان الكلام ينزل على قلب الجارية كالسهام المسمومة .. فما أن انتهى الوزراء ورجال الدولة من رؤية الغلام حتى اختطفته اختطافا من على كرسى المملكة ، وأسرعت به الى حجرتها ، فرمته على الارض ، وأشرعت فى يدها سكينا مرهف النصل وأقبلت عليه كالنمرة الهائجة تروم ذبحه ، واذ بجاريتها تدخل عليها وتصرخ فيها .. فشل الله يدها ويبس السكين بين أصابعها ..

وقالت الجارية لسيدتها « قمرية » :

ـ ما الذى أغراك بهذا الامر ؟ .. أتقتل أم فلذة كبدها .. ؟ !

فارتمت « قمرية » على سريرها وهى تصرخ كالمجنونة ، ثم قالت لجاريتها :

ـ بل لابد من قتله ، فانه ان كبر أخذ منى الملك وتسلط على الرجال ..

ـ ألا تعلمين أنك ان قتلته ، وعلم أهل المملكة بفعلك هذا لن يتركوك دون القصاص الرهيب ، فيقتلونك شر قتلة ، ويجعلون منك عبرة للمعتبرين ، وموعظة للمتبصرين ..

قالت « قمرية » :

ـ لابد لى من قتله لاستريح ، لقد أوقد النار فى قلبى خضوع الرجال له اليوم وهو ابن اربعين يوما ، فماذا يكون الحال عندما يكبر ويبلغ مبلغ الرجال .. !

قالت الجارية :

ـ ومن منعك من قتله ؟ فقط لا تتحملى وزر قتله بيدك ..

ـ وما العمل ؟

ـ اتركينى ادبر لك الامر خفية حتى لايقول أحد : قتلت الملكة ابنها بيدها حتى لا يرث الملك منها .. !

غابت الجارية تدبر أمرها أياما ، ثم جاءت لـ « قمرية » ذات ليلة وقالت لها :

ـ هات عقدا من الجوهر ، وهات من الدنانير الفين ، وهات أجمل اثوابه المزركشة ..

وذهبت « قمرية » الى حجرتها وعادت بما طلبته جاريتها .. فألبست الجارية الغلام ملابسه والعقد وصرت الدنانير .. ثم أمرت الهجان أن يأتى بهجين وجوادين ، وأن يوقفهم عند باب الخدم فى مطلع الصباح ، وأعطت « قمرية » الهجان بدرة مال ، فانصرف بعد ما طلب منه .. أما الجارية فقد قالت لـ « قمرية » :

ـ فى الصباح نركب نحن الاثنتين ، ونأخذ الغلام الى مدينة الموت .. وهناك نتركه وحده ، ان عاش عاش لعمره وأن مات مات لأجله .. وما أحسب الموت يتركه فى هذه المدينة المهجورة المليئة بالسباع والضوارى ..

وفى غبش الصباح ، غادر مدينة الحمراء جوادان وهجين .. أما الهجين فكان يحمل زادا وماء ، وأما الجوادان فعلى احدهما كانت تركب « قمرية » والغلام ، وعلى الثانى كانت تركب الجارية ومعها كيس الدنانير ..

ومضى هذا الموكب يجتاز المدينة التى ما زالت نائمة ، ويخرج الى البرارى والتلال والسهول ..

وظلت « قمرية » وجاريتها في سير متصل اربعة أيام وليال .. وفى اليوم الخامس اشرفتا على واد فسيح مقفر فقالت الجارية :

ــ هذا وادى الموت .. هنا تنتهى رحلتنا ..

ونزلت « قمرية » من على جوادها وفى يدها الغـــلام ، ونزلت الجارية وهى تقول :

ــ كان هذا الوادى المخيف فى الاصل مدينة عظيمة ، أقام بها الموت حتى قضى على رجالها ونسائها ، فهى قفر خراب ينعق فيها البـــوم والغربان وترتادها الوحوش الكواسر الجياع ، فلا أمان هنا لحى ..

وكانت « قمرية » تنظر ما أمامها من علامات الخــراب والدمار ، وقلبها يزداد قسوة وتحجرا ، الى أن رأت أمامها شجرة شـــوك ، فهرولت اليها ووضعت تحتها الغلام وهى تقول :

ــ وان نجا من الوحوش والسباع فلن ينجو من الحر والهجير .. ووضعت الجارية الى جوار الغلام كيس الدنانير .. ثم أســرعت المرأتان تركبان الخيل وتقودان الهجين عائدتين الى مـدينة الحمراء .. والطفل الصغير وحده تحت الشجرة لا يعرف ما فعلت به أمه ، وما يخبؤه له الزمان ..



الفصل الرابع

طفل غريب

كانت الغزالة ترضع ابنها الوليد وهى آمنة مطمئنة ، حين أحست بدنو الخطر ، فرفعت رأسها وأدارته يمنة ويسرة .. ثم انطلقت تجرى بكل قوتها وقد نسيت وليدها الصغير .. وأسرع الصياد يجرى وراءها وقد نسى حذره وتربصه ، وما كاد يقترب من المكان الذى كانت تقف فيه حتى وجد وليدها يقف وحيدا فى استكانة ، فحمله ومضى يطارد الغزالة من جديد ، فاذ به قد فقد أثرها فمضى لشأنه وقد أضمر فى نفسه أن يعود الى هذا المكان عندما ينتهى من صيده فربما عادت بحثا عن وليدها ..

وحين أمنت الغزالة مطاردة الصياد ، عادت الى حيث تركت وليدها فلم تجده .. وبينما هى تبحث عنه عثرت على الطفل الصغير تحت شجرة الشوك يضرب الارض بقدميه ويصرخ من الجوع .. فانزل الله فى قلبها الحنان ، فالقت بثديها فى فمه الذى تلقفه فى شراهة ومضى يمتص لبنها فى نهم ..

وكان الصياد يتقدم الى المكان فى حذر ، وحين وقع بصره على هذا المشهد الفريد ، توقف فى مكانه وقد ملأه العجب .. وأحست به الغزالة فتركت الطفل وأسرعت تجرى ، وتقدم الصياد فمال على الطفل وأخذه ووجد تحت رأسه الكيس الملىء بالدنانير فأخذه وقد استبشر وملأه السرور ، وزاد سروره عندما عثر على العقد الجوهر .. فأسرع يحمله كالمجنون ويعود الى مدينته ، مدينة الدور ..

***

كانت مدينة الدور واحدة من المدن التى تقع تحت سطوة الملك « سيف الرعد » ملك الاحباش ، ولكن كان يحكمها بطل جبار وفارس لا يشق له غبار ، هو الملك « أفراح » الذى يعبد زحل دون الواحد

الفتاح ·· وبينما الملك فى ايوانه ، بين وزرائه وأعوانه ، اذ دخل عليه الحاجب وقال :

ــ صياد بالباب ، يستأذن في الدخول على مولاى ، وهو يقول ان معه هدية ثمينة ، وحكاية عجيبة ··

فأمر الملك « أفراح » بدخول الصياد ، والاذن له بالمثول بين يديه ··

ودخل الصياد ، فقبل الارض ، وحكى للملك أفراح قصته الغريبة ·· فعجب الملك « أفراح » ومد يده يأخذ الغلام ، فاذا الطفل يبتسم فى وجهه والشامة تظهر على خده ·· فابتسم الملك ، وألقى الله محبة الصبى فى قلبه ·· فأمر الصياد أن يأخذ الدنانير ، وأعطاه بدل العقد الجوهر بدرة أخرى مثل ما أخذ أو أكثر ··

وبينما الملك « أفراح » يتأمل فى الطفل الغريب ، ويستعيد قصة الصياد ويستزيد ، اذ بالديوان يمرح بالصياح ، واذ بالحاجب يسرع الى مولاه ويقول :

ــ يا مولاى ، وصل الحكيم « سقرديون » أخو الحكيم « سقرديوس » من عند الملك « سيف أرعد » ، ومعه الحاشية والغلمان والفرسان ··

فقام الملك فى الحال ، يستقبل حكيم الملك « سيف أرعد » ويرحب بـه ، وينزله فى الديوان منزل التشريف ، ويحيطـه بـكل رعاية وتحية ··

وما أن جلس الحكيم « سقرديون » حتى نظر الغلام فعجب واندهش، والتفت الى الملك « أفراح » يسأله عن سر هـذا الطفل الذى رآه فى الديوان ·· فقال الملك « أفراح » :

ــ هذا غلام وجده الصياد فى حجر غزالة ترضعه ··

فأمسك الحكيم « سقرديون » الغلام بين يديه ، فأوقع الله الكراهية فى قلبه ، ونظر الشامة على خده اليمين فصاح وهاج ·· وقال :

ــ لابد أن تقتل هذا الغلام يا ملك الزمان ··

قال الملك :

ــ ما الامر يا حكيم « سقرديون » ؟

ــ هل سمع أحد بغزالة تلد طفلا ؟ ! ·· ان هو الا ابن خاطئة خافت الفضيحة ، فرمته الى الآكام عسى أن تقتله الوحوش ··

ــ وما البأس أن نربيه نحن يا حكيم الزمان ؟ !

قال الحكيم « سقرديون » :

ــ هذه الشامة ايها الملك على خد الغلام ، علامة تحذير لعبدة النجوم

والاصنام ‥ فاني وجدت في الكتب العظيمة والملاحم القديمة ، أن ولدا سيظهر يقال له « تبع جار الغزال » يقضى على عبدة زحل والنجوم ويكون ابوه من حمراء اليمن ، ويقـــال له « سيف بن ذى يزن » ويحكم على الانس والجـان بسر سـيف « آصـف بن برخيـا » وزير نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ‥ وأن « آصف » رصد سيفه لملك اسمه « سيف بن ذى يزن » يتلو حسبه ونسبه ويملكه بقوة ساعده وزنده ‥

فابتسم الملك « أفراح » ، وهو يعجب من الحكيم وكيف تاه عقله وراح .. وقال :

ـ وحق زحل يا حكيم الزمان ، لست أجد لهذا الطفل ذنبا نقتله به ، ولا جريرة نأخذه بها ..

وقبل أن يرد الحكيم « سقرديون » ، اذ بالحاجب الاعظـــم يدخل الديوان مهرولا دون أن يستأذن وهو يصيح فى بشر وسرور :

ـ البشارة يا ملك الزمان ، قد جاءك السرور ، وزالت عنـــك الهموم ، لقد وضعت الملكة دهشانة طفلة كأنها البدر ليلة تمامه ..

وهرول الملك من ساعته الى حجرة زوجته ‥ فاذا بها قد ولدت بنتا ذات حسن وجمال ، وعلى خدها خال مثل ما على خد الغلام .. ففرح بها غاية الفرح ، وحملها وعاد بها الى ايوانه ، ليريها لجلاســه وسماره ‥ ثم وضع الفتاة جنب الغلام ، والناس قعود وقيـــام ، وقال :

ـ ما احسن هاتين الشامتين ، وما أظرفهما على الخدين ..

عند ذلك لطم الحكيم خده ، ورمى عمامتـــه على الارض ، وهـــو يصيح بأعلى صوته ويقول :

ـ وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه ، انى خائف من هــــاتين الشامتين ، واجتماعهما مع بعضهما ..

فصاح الملك « أفراح » وقد ملأه الغضب ، واستبدت به الحيرة :

ـ ماذا جرى لك أيها الحكيم « سقرديون » .. ؟

قال الحكيـــم :

ـ ما جرى لى الا مخالفتك لما تقول ‥ أعلم ايهــــا الملك انه متى اقترنت هاتان الشامتان نفذ المقدور ، وانتهت عبادة زحل والنجوم ، وانتهى ملك الحبشى وحل ملك العرب .. فلابد أن تقتل هذه الفتاة وذلك الغلام حتى يهدأ منى البال ويستريح البلبال ..

فصرخ الملك الذى ملكه الغضب :

ـ ماذا تقول أيها الحكيم التعيس ؟ .. أأنت من ذرية ابليس ، كيف تريدنى ان اقتل ابنتى وفلذة كبدى ، أما هذا الغلام فلسست أجـد له جريرة .. ولكننى سأفرق بينهما منذ اليوم وأجعل كل واحد منهما فى مكـــان ..

وامر الملك « أفراح » أن تربى ابنته بعيدة عن الغلام ، وان يكون لكل منهما مراضع غير الذى للآخر .. وأمر الجميع باكرام الغـلام، وأسماه « وحش الفلا » لان الصياد وجده فى البرارى والخلا ..

***

كانت حاضنة « وحش الفلا » تملأ اناء الشرب من المزيرة ، فاذا بها تسمع صوتا يقول لها :

ـ يا جارية ، أحضرى « وحش الفلا » يتربى عندى مدة من الزمان ، حتى يكبر ويصير له من العمر ثلاثة أعوام ..

وظنت الجارية أنها لم تسمع جيدا ، فعاد الصوت يردد لها ماقاله أول مرة ، فلم ترد الجارية .. فاذا بالصوت يعود ويقول :

ـ ان لم تأت به آذيتك واخذته غصبا عنك ..

فخافت الجارية وارتعبت ، وأسرعت وهى ترتجف تحضر الغلام ، وتضعه الى جوار المزيرة ، وحين عادت بعد قليل لم تجد للغلام أثرا .. فهرولت الى القصر تحكى الامر للملك ..

واغتم الملك « أفراح » وتألم ، وملأت الحيرة والدهشـــة قلبه .. وأسرع يخبر الحكيم « سقرديون » بالأمر ، ففرح اللعين الفرح الذى ما عليه من مزيد ، وهون الامر على الملك « أفراح » ، وقد اطمان باله وارتاح ..



الفصل الخامس

عطعطم !

وانقضت الايام .. ومضت الثلاثة أعوام .. وبينما الملك « أفراح » يخرج من القصر الى الديوان ، اذ مر فى طريقه بالمزيرة ·· واذ بـــه بسمع صوتا يهتف به :

ــ يا ملك « أفراح » ابشر بالسرور والافراح ·· ها أنا أعيــد لك الغلام بعد أن ربيته عندى ثلاثة أعوام .. فخذه واعتن به ، واعلم أن « وحش الفلا » ابن ملك همام ، وهو الى جوار هذا قد صار ابنى بالرضاعة . .

فخاف الملك وارتعد .. وقال :

ــ من أنت يا صاحبة الصوت ؟ .. وما شأنك بهذا الغلام ؟ ..

فجاءه الصوت يقول :

ــ أنا ملكة جبال القمر ومنابع النيل زوجة الملك الابيض من ملوك الجان .. أما قصتى مع هذا الغلام فعجيبة ، ذلك أننى كنت يومــا أرتاح الى جوار شجرة شوك ــ أنا وابنتى « عاقصة » ــ فوجدنا هذا الغلام يصيح من الجوع وهو وحده فى هذه الفلاة .. وعندما عــدت أخبرت زوجى بقصته ، فأقسم على أن لا أعود حتى أحضره ليتــربى عندنا حتى يشتد ·· فبحثت عنه حتى وجدته فى قصرك ، وربيته مع ابنتى « عاقصة » كل هذه الاعوام .. واليوم أعيده اليك ، فاياك ان تمسه بضر أو تسعى اليه بشر ، ولو كان يمكن ان يعيش أبناء البشر فى دنيا الجن ما أعدته اليك ..

والتفت الملك « أفراح » فما وجد سوى الغلام « وحش الفلا » يرقد على الارض وهو فى نوم عميق ، فحمله الملك وقد حن قلبه عليه ، ومضى به الى زوجته يحمل لها بشرى عودته اليه ..

ظل « وحش الفلا » يتربى عند الملك « أفراح » ــ وهو عنده فى

أعز مكان وأعلى منزلة ــ الى ان بلغ من العمر سبع سنين .. وأراد الملك أن يعلم الغلام الفروسية فأمر ان يأتوا للغلام بمهر صغير ، ولكن الغلام رفض وأصر على ركوب جواد أدهم اختاره بنفسه ، ثم طلب رمحا طويلا وسيفا صقيلا ، فأتوا له بما طلب .. فاذ به يركب كأحسن الفرسان ويجول ويصول فى الميدان ، ويبادر الاقران والشجعان ..

وظل «وحش الفلا» يركب كل يوم فرسه ، ويباشر طعنه وضربه الى أن بلغ من العمر أربع عشرة سنة ، وقد ضج النـاس من قوته ، واشتكى الفرسان من بطشه وسطوته ..

***

كان الحكيم « سقرديون » فى حضرة الملك « أفراح » حين دخـل عليهما فارس صغير ، فقام له من فى الديوان ، ثم اخذ مجلسـه الى جوار الملك .. فدهش «سقرديون» وتأمل فى الفارس فاذا به غلام صغير .. فالتفت الى الملك وهو يقول :

ــ من هذا الفتى الصغير الذى وقف له كل من فى الديوان ، وأخذ مجلسه الى جوارك كأنه بعض أقاربك ؟ !

قال الملك « أفراح » وهو يبتسم :

ــ ألا تذكر أيها الحكيم « سقرديون » الطفل الصـغير الـذى وجده الصياد فى الفلا ، ثم اختطفه الجن من المزيرة .. لقد عاد بعد ثلاثة أعوام ، وتعلم الفروسية وغدا اليـوم كمـا ترى متعة لكل عين وبهجة لكل قلب ..

وما أن سمع «سقرديون» هذا الكلام ، حتى ظهر عليه الغيظ وبان .. ثم قال :

ــ ألم أطلب منك أن تبعد هذا الغلام عن ابنتك « شامة » ، حتى لا تتحقق باجتماعهما العلامة .. ولكنك بدلا من هذا تربيه ، وتعلمه اللعب بالسيف ، وتجلسه الى جوارك فى الديوان .. وحق زحل فى علاه ان لم تخرج هذا الغلام من أرضنا لارسل الى أخى «سقرديوس» ليعلم الملك « سيف أرعد » أنك تربى عدونا فى بلادنا ، فيرسل اليك جنده كالبحر الزاخر ، تطردك من أرضك ، وتخرجك من ملكك ، وتقتل هذا الغلام ، وتقتل ابنتك صاحبة الشامة ..

فأطرق الملك « أفراح » يفكر ، ثم رفع رأسه وهو يقول :

ــ أيها الحكيم العظيم الشأن .. لقد وجدت وسيلة أنفذ بها كلامك، فأنت عندنا رفيع الشأن عالى المنزلة ، وكلامك أمر مطاع ..

أرسل الملك « أفراح » يستدعى فارسه المشهور وبطله المعـروف

« عطمطم » خراق الشجر .. وكان « عطمطم » يعيش تحت نفوذه الملك « أفراح » فى حصن يبعد عن مدينة الدور مسيرة ثلاثة أيام ، وكان سبب تسميته بخراق الشجر أنه اذا ركب على ظهر جواده يأخذ تنطاريته بيده ويضرب بها أعظم شجرة فيخرقها بقوة ساعده وسداد ضربته ..

وما أن بلغت رسالة الملك « أفراح » الى « عطمطم » حتى سار من وقته وساعته قاصدا مدينة الدور مجيبا رسالة الملك ملبيا دعوته .. وحين دخل « عطمطم » على الملك « أفراح » قبل الارض بين يديه ، ووقف عاقدا ساعديه وهو يقول :

ــ لبيك يا مولاى ، هل بغى باغ تريد أن أؤدبه ، أو عصى عاص تريد ان أجندله ؟!

فابتسم الملك « أفراح » وقال له :

ــ بل لقد ارسلت فى طلبك من أجل شيء آخر .. أترى هذا الغلام ؟ .. انه عزيز عندى بل هو أعز من ولدى ، فخذه معك الى حصنك ، واكرمه غاية الاكرام ، وعلمه طرفا من شجاعتك وقوتك وفروسيتك

فأجابه خراق الشجر بالسمع والطاعة ، وقد سره شكل الغلام ، وما عليه من مهابة ، وما يظهر على وجهه من مخايل النجابة .. وسار به الى حصنه يعلمه الوان الفروسية ، وأنواع الكر والفر ، والجلاد على الحرب والضرب .. الى ان مر عام ، وصار لـ « وحش الفلا » من العمر خمسة عشر عاما كاملة ..

***

وذات صباح استدعى « عطمطم » « وحش الفلا » وقال له :

ــ يا ولدى انت ملكت الشجاعة والقوة والبراعة ، وتعلمت أبواب الحرب ومواقع الطعن والضرب ، ولكن بقى أمامك باب واحد فقم معى ..

وسار «وحش الفلا» مع « عطمطم » الى أن أتيا الى شجرة كبيرة ضخمة يحار الناظر فى طولها وعرضها ، وعندها تسع شجرات يقاربنها فى الحجم ، وفى كل شجرة منها طاقة مخروقة .. قال «وحش الفلا» :

ــ وما هذه الخروق التى فى هذه الاشجار يا مولاى ؟

ــ اعلم يا ولدى اننى اركب على ظهر جوادى واحمل على الشجرة واطعنها بهذه القنطارية فأخرقها ، وأميل عليها فأخرقها ، ولهذه سميت خراق الشجر .. وانظر سأريك فعالى حتى تعرف مكانى ..

وقام خراق الشجر وركب صهوة جواده ، واعتد بعدة جلاده ،

وأخذ قنطاريته بيده ، وأسرع بجواده الى الخلاء ، ثم عاد حاملا على الشجرة وطعنها فخرقها .. فقال « وحش الفلا » :

ـ أحسنت يا مولاى اعطنى هذه القنطارية وانظر ماذا أصنع بها ..

فأعطاه خراق الشجر قنطاريته ، وركب وحش الفلا جواده ، وحمل على الشجرة وطعنها واذا بسن القنطارية ينفذ من عقب الشجرة قدر شبر كامل ، فمد يده وشد القنطارية فخرجت فى يده مع جرى الجواد .. فاذ بالقنطارية في يده ، وابتعد « وحش الفلا » بجواده .. ثم عاد الى الشجرة وطعنها ثانية ، ومد يده فأخرج القنطارية من الناحية الاخرى مع جرى الحصان ..

وظل « وحش الفلا » يكرر هذه الطعنات الصائبة والحيرة تشتد بـ « عطمطم » والدهشة تبدو عليه .. فما أكمل « وحش الفلا » أربعين طعنة حتى أخذ الرعب بقلب خراق الشجر ، ورمى تاجه من على رأسه ولطم بيديه على خديه حتى برز الدم الى عينيه ، والتفت وهو محنق يقول لـ « وحش الفلا » :

ـ ما أدراك لعلك تكون أنت الذى على يديك هلاك عابدى النجوم يا غلام ما هذه ارضك ، ولا أرض ابيك ، ولا جدودك من قبلك ، ولكنها أرضنا نحن ، وفى أى مكان وجدناك فيه سنقتلك ..

وبينما « عطمطم » فى ثورته ، والغضب آخذ منه مأخذه ، اندفع « وحش الفلا » هاربا وللنجاة طالبا .. وقد خشى من غضب خراق الشجر الذى بان وظهر ، فاندفع الى الصحراء تائها بين الوديان والجبال ...



الفصل السادس

بنات الملوك

ظل « وحش الفلا » يسير فى البرارى والقفار يومين كاملين •• وفى صباح اليوم الثالث أشرف على غار ، وما أن قصد اليه حتى سمع فيه صوت انسان ، فعجب « وحش الفلا » وخاف .. ولكن جوعه وعطشه أسرعا به الى الغار عسى أن يجد ما يسد به رمقه ..

ووجد فى داخل الغار رجلا أعجميا ، فتقدم منه وقال :

ــ يا مولاى ... أنا رجل غريب عن الأوطان وقد رمانى الزمان بالحرمان

فقال له الأعجمى :

ــ اعلم يا ولدى أننى انتظرك فى هذا المكان منذ مدة من الزمان ، فانه يوجد فى ذلك الغار كنز عليه خدم من الجان ، وفيه سوط من الجلد مطلسم ، ولا يقدر على أخذه الا غلام اسمه « وحش الفلا » .. وها أنت قد اتيت فانزل الى ذلك الغار وائتنى بالسوط ، وأنا أبطل لك جميع المهالك من السحر والحكمة ..

قال « وحش الفلا » :

ــ وما منفعة ذلك السوط ؟

ــ ان هذا السوط ان ضرب به شخص قتل لوقته وساعته .. لا يقف أمامه جن ولا انس !

ونزل « وحش الفلا » الى الغار وقلبه ملىء بالخوف من الهلاك ؛ ووصل الى سرير عليه حكيم كبير والسوط تحت رأسه .. فمد يده يأخذ السوط وعاد راجعا وهو لا يصدق بالنجاة ، وما أن وصل الى باب الكنز حتى نادى الأعجمى بأن الحاجة قد قضيت ... فقال الأعجمى :

ــ ناولنى السوط فأنت عندى أعز من الولد ..

ــ أخرجنى الى خارج الكنز وخذ منى السوط فى الغار ..

وأخذ الأعجمي يغريه ، ويحاول أن يخدعه ويلهيه ، و « وحش الفلا » يصر على ألا يعطيه السوط الا بعد أن يأخذه بيده ، والى ظهر الأرض يخرجه ، فمد الأعجمي يده وجذبه وهو يحاول أن يطبق بيده الأخرى على السوط لينتزعه ، الا أن « وحش الفلا » كان أسرع منه فضربه بالسوط فاذا برأسه عن جسده قد طار .. فحمد « وحش الفلا » ربه على نجاته من يده ، وفرح لحصوله على السوط ، وأكل من زاد الاعجمي واستراح .. ثم مضى فى طريقه وقد زال تعبه وراح غمه عنه ..

***

ظل « وحش الفلا » فى سيره حتى أشرف على مدينة عالية الأسوار ، وأبواب المدينة كلها مغلقة ، وأهل المدينة يقفون على الأسوار وهم يبكون بدموع غزار .. وقد لبسوا السواد كمن فقد أعز الاهل والاولاد ، ورأى خارج المدينة خيمة منصوبة وهى مزركشة تدل على أن بداخلها عروسا .. فاتجه « وحش الفلا » الى هذه الخيمة ينظر ما بها وقد أخذ منه العجب مأخذه .. وما أن اقترب من الخيمة وأزاح بيده الباب حتى بهره جمال العروس ، وقد جلست وحدها تبكى وتندب حظها .. وكانت العروس جميلة كأجمل ما تكون النساء ، فقال « وحش الفلا » :

ـ ما يبكيك يا أجمل ما فى الدنيا ؟!

فرفعت رأسها ونظرت الى « وحش الفلا » فبهرها جماله ، وأعجبتها الفتوة والشهامة تبين على وجهه ..

وقالت له :

ـ أنا أيها الشاب المليح بنت ملك وسلطان ، وقد تزوجنى عفريت من الجان ..

ولما رفعت العروس رأسها ، التقت أعينهما فى نظرة اعقبتها ألف حسرة ، وقد رأى لها خالا أخضر على خدها مثل الذى على خده .. وقال :

ـ وكيف كان هذا الحال ..؟

ـ أعلم يا سيدى أن أسمى « شامة » بنت الملك « أفراح » وهذه أسوار مدينتى وهؤلاء أهلى وأقاربى ..

فلما سمع « وحش الفلا » هذا ، وعرف أنها « شامة » بنت الملك «أفراح» الذى رباه وهو صغير مولود ، عزم على تخليصها بقوة الملك المعبود ..

وكان لهذه الحكاية أصل غريب ، ذلك أن الحكيم « سقرديون » لما رأى أن الملك « أفراح » قد عصى أمره ولم يقتل ابنتـه ولا الغـلام « وحش الفلا » صـار قاصدا مدينة « سيف أرعد » ليخبر أخـاه « سقرديوس » .. فبينما هو سائر اذ وجد في طريقه كاهنا سحارا يقال له « عبد نار » فأخبره بحـاله وعزمه على أن يفـرق بين الملك « افراح » وبين ابنته ، خوفا من أن تقترن الشامتان فتنتهى عبـادة النجوم ، فتعهد الكاهن بتدبير الأمر ..

ودخل مرصده ، وعزم وهمهم .. فخـرج له مارد هائل المنظر .. فأمره الكاهن ــ وكان اسمه « المختطف » ــ أن يأسر « شامة » بنت الملك « أفراح » على أن تكون له هدية ..

وأسرع « المختطف » الى مدينة الدور ، وصرخ عليها صرخة اهتزت لها الجبـال ، وأطلق بروقه وصواعقه .. فامتلأت المدينـة بالرعب والخوف ، وأسرع الرجال الى حيث المـارد يسألونه عن مرامه ، فقال لهم :

ــ أريد منكم أن تزينوا « شامة » بنت الملك « أفراح » وتخرجوها فى خيمة عظيمة خارج المدينة حتى أعود اليها غدا ، فآخذها لأتزوج بها ، والا خربت المدينة على رءوسـكم واخذتها غصبا عنكم ، ثم تركهم ومضى .. !

وحمل الرجال هـذه الرسـالة الى الملك « أفراح » وهم خائفون مرتعبون ، وحل الحزن بالملك « أفراح » كمـا حل بالمدينة كلهـا ، وأخذت أم « شامة » تلطم وجهها الا أنهم لم يملكوا الا أن ينفذوا ما أمر به المارد ، فألبسوا «شامة» وزينوها ، وفى خيمة مزينة خارج المدينة تركوها .. ووقف الأهل والأصحاب على أسوار المدينة يرقبون وهم يصيحون ويبكون ..!

***

وما أن انتهت الملكة « شامة » من هـذه الحكاية ، حتى علا الغبـار المكان وتكدر الجو وأظلم ، وأقبل المـارد فاذا به يجد « وحش الفلا » بجانب الملكة « شامة » ، فصـاح صيحة مزعجة ارتجت لها الجبـال والاودية ، ومد الى « وحش الفـلا » يده يريد أن يقتـله .. فرفع « وحش الفلا » السوط ، وضرب يد «المختطف» فقطعها كأنه نشرها بمنشار ..!

فصرخ المارد من الألم ، وأخـذ يده المقطوعة من الأرض ، ووضعها مكان القطع خوفا من أن يخرج الدخان فيموت .. اذ ان الجن لايسيل لهم دم لأنهم خلقوا من النار .. ونشر المارد أجنحته وطار ..!

وضج أهل المدينة بالفرح والسرور ، وخرج الملك « افراح » وهو ملهوف الفؤاد ووراءه جميع أهل دولته ، وهم يغنون وينشدون، الى أن وصلوا الى خيمة الملكة « شامة » .. وأسرع الملك « أفراح » الى « وحش الفلا » وقبله بين عينيه ، وشكره واثنى عليه .. وعاد بهما الى المدينة وأمر باقامة الزينة والأفراح ..

وكان الحكيم « سقرديون » قد عاد من عند الكاهن المأفون ، فوجد المدينة وقد ازدانت .. وسمع أهلها يتحدثون بما فعل «وحش الفلا» مع المارد ، فاغتاظ الحكيم«سقرديون» وملأ الحنق قلبه .. وأسرع الى بيته وهو من حقده لا يكاد يرى ..

أفرد الملك « أفراح » لـ « وحش الفلا » جناحا خاصا فى قصره ، وخلع عليه خلعة سنية ، وأمر بذبح الذبائح ونصب الولائم ..

أما الملكة «شامة» فقد ظلت طول النهار تفكر فى مخلصها من الدمار، وتفكر كيف تلقاه وهى لا تجد سبيلا اليه طول النهار .. فما أن أتى الليل ، حتى أسرعت الى جناحه فسلمت عليه وجلست الى جواره.. وظلا يتحادثان ساعة من الزمان ، وقد كشف كل منهما عما يحمل لصاحبه من الحب والغرام ، وقالت الملكة « شامة » :

ـ لقد صرت عتيقة سيفك ،وأمينة خوفك .. فان كنت تحبنى كما ذكرت ، فاذهب الى الديوان واخطبنى من أبى ..

فعزم « وحش الفلا » على تنفيذ ما قالت ، وقد زاد به الحب .. وظلا يتحادثان الى الصباح ، فرجعت الى حجرتها وقام « وحش الفلا » الى الديوان ..

ولكن الحياء منع « وحش الفلا » من أن يفاتح الملك « أفراح » فى الأمر الذى اتفق عليه مع « شامة » فانفض الديوان وهو عاجز عن التبيان ..

***

وما كاد الليل يأتى حتى أسرعت اليه الملكة « شامة » تلومه على حيائه وخجله ، وتحثه على التقدم بطلبه .. ثم قضيا الليلة فى حديث عذب جميل ، ولم تتركه الا فى الصباح وقد أكدت عليه ان ينفذ ما اتفقا على تنفيذه ، ومضى « وحش الفلا » الى الديوان وقد حزم أمره واستجمع عزمه

وما أن انعقد الديوان ، حتى دخل « وحش الفلا » فقبل الارض بين يدى الملك « أفراح » ودعاه بطول البقاء ودوام العز ، واستأذن

في الكلام .. فأذن الملك ..
وقال « وحش الفلا » :
ـ جئتك خاطبا ، وفي كلمتك راغبا ، فلا تردني يا مولاي خائبا ..
وما أن سمع الحكيم « سقرديون » هذا الكلام حتى صار الضياء في وجهه ظلاما ، ولطم بيده على رأسه ، فقال له الملك :
ـ ما الذي جرى أيها الحكيم ..؟
قال « سقرديون » :
ـ هذا ما كنت أخاف منه .. فمتى اقترنت الشامتان ببعضهما، فابشر بخراب الأرض بانتهاء عبادة النجوم وزوال ملك الحبشة
قال الملك :
ـ ماذا تقول يا حكيم الزمان .. كيف نرده وقد خلصها بالأمس من المارد ، وأبدل حزننا فرحا وخوفنا أمانا ؟!
ـ نأخذه بالدهاء .. قل له أن أمرها بيد حكيمها ، فاخطبها منه واتراك على الأمر أدبره ..!
فالتفت الملك « أفراح » الى « وحش الفلا » وأعلنه بترحيبه ، وأخبره أن أمرها بيد الحكيم .. فالتفت « وحش الفلا » الى الحكيم يخطب « شامة » منه ، فقال « سقرديون » مختالا مخادعا :
ـ أبشر يا فارس الزمان ان « شامة » لك من جملة الجواري.. لا تتزوج بغيرك أبدا ، وزحل ينصرك على الأعداء .. ولكن أنت تعلم أن البنات لهن مهور غوال وخاصة بنات الملك
قال « وحش الفلا » :
ـ أطلب مني ما شئت أمام هؤلاء الرجال ، وكل ما طلبت يأتيك ويحضر بين يديك ..
ـ نحن يا بني لا نطلب منك مالا ولا عطاء .. وانما نطلب مهرا يليق بفارس .. فمهرها أن تأتي الى عندي برأس عبد يسمى « سعدون » الزنجي ..
ـ وأين مكانه وأنا آتيك برأسه ..؟!
ـ انه ساكن في قلعة تسمى قلعة الثريا ، بيننا وبينها مسيرة ثلاثة أيام
قال « وحش الفلا » :
ـ لك علي ذلك .. وهذا عهد بيني وبينك يشهد عليه الحاضرون .

الفصل السابع

كتاب النيل

كان « وحش الفلا » يسير وحيدا ، وهو يذكر ما اخذ على نفسه من العهود .. ويردد بينه وبين نفسه أشد الأقسام أن يحقق غايته ويحصل على بغيته.. واذ به يسمع صوتا ينتزعه من أفكاره ويخرجه من أحلامه .. وكان الصوت يصيح بلهجة التهديد :

ـ الى أين يا من جرؤت على السير وحيدا فى هـذا الوادى ؟.. أبشر بهلاكك ، فقد حل موعد فنائك ..

ولمح « وحش الفلا » فارسا يقبل عليه من بعيد ، وقد رفع رمحه وأطبق درعه ، والغبار يثور من تحت سنابك جواده .. والشر يلوح من صرخاته .. فاستعد « وحش الفلا » للقائه وتأهب لصدامه . وسرعان ما اشتبك الفارسان مع بعضهما ، وتطاعنا بالرماح ، ثم تضاربا بالسيوف وقد انعقد الغبار عليهما وعلت صيحاتهما.. وطال الأمر على « وحش الفلا » فأخذه الغضب .. وسرعان ما صرخ فى غريمه صرخة عظيمة اهتزت لها الجبال والتلال ، وضربه بعقب الرمح فى صدره فقلبه عن جواده ، ونزل عن جواده منقضا عليه مشهرا خنجره فى يده يريد أن يذبحه .. فاذا بغريمه يصيح به :

ـ امسك يدك ايها الفارس الصنديد قبل أن تندم حيث لا ينفع الندم ..

وحيرت الصيحة « وحش الفلا » .. واحس أنه يعرف الصوت ويألفه ، فمد يده يرفع اللثام عن وجه غريمه .. واذ بوجه كالقمر ينير من تحت اللثام .. وضحك صاحب الوجه وقال :

ـ نعم يا فارس الزمان .. أنا « شامة » بنت الملك « افراح » جئت اطمئن عليك ، واختبر قوتك ..

وتحولت الدهشة فى صدر « وحش الفلا » الى فرحة غامرة ، فأخذ بيد حبيبته ونفسه بالبشر عامرة .. وجلسا يتجاذبان الحديث

ويتطارحان الهوى .. ثم نبهته « شامة » الى أن الوقت يفوت ... وعادا يقطعان عهود الوفاء والمحبة .. ثم غادرها « وحش الفلا » وفى قلبه من فراقها غصة .. ومضى فى طريقه .. وتركها تعود الى المدينة والأهل ..

***

ظل « وحش الفلا » يسير وحيدا حتى أشرف على قلعة عالية الأسوار مقفلة الأبواب ، وكان الليل قد لف الدنيا بالظلام ، فوقف محتارا لا يدرى ماذا يفعل .. واذ به يسمع صوت خيل تصهل ، وأحس بحركة قافلة تقبل من أعماق الظلام وتتجه الى باب القلعة.. فاختفى خلف أكمة عالية ومضى يرقب ما يحدث . وسرعان ماحاذاه الركب، فاذ بعشرين من الرجال الأشداء يقودون قافلة منهوبة وأموالا منصوبة ، وقد ربطوا الرجال على خيولهم بالحبال واتجهوا جميعا الى باب القلعة .. فأسرع « وحش الفلا » يختلط بهم ، وقد فتح لهم الباب واجتازوا الى وسط الساحة فأنزلوا الأحمال والرجال المقيدين ، ثم صعدوا الى القلعة .. وانتظر « وحش الفلا » فلم ينزل أحد منهم .. فحزم أمره ، وشرع الحسام فى يده ، ثم تقدم الى درج القلعة ليصعد اليهم ، ويقضى عليهم .. وما كاد يضع قدمه على أول درجة حتى زاغت من تحته ، فنزل يهوى الى جب عميق فأيقن بالهلاك واستعد لمجابهة الموت .. واذ به يسمع صوتا يناديه بالأمان ويبشره بالخلاص ويقول :

ـ لا بأس عليك يا بطل الزمان ..

وعرف فى الصوت ، صوت «شامة» ، فامتلأ قلبه بالفرح والبشر، وأسرعت تمد له يدها وتعينه على الخروج من مأزقه .. ثم قالت له:

ـ لقد تبعت أثرك بعد أن تركتك ، وقد اشتعل قلبى خوفا عليك، ودخلت مثلك وسط القافلة المأسورة ثم وقفت أرقبك فرأيتك تقع فى هذا الفخ المنصوب .. ورأيى أن تجس كل درجة قبل أن تصعد عليها خوفا من فخاخ أخرى ..

فجعل «وحش الفلا» السيف فى يده ، وذبانيته الى أعلى ورأسه الى أسفل .. وصار يجس به الدرج ويدق عليها ، حتى وصل الى رأس السلم فاذا بالدرجة تتحرك حين جسها بسيفه ، فالتفت الى « شامة » وقال لها :

ـ فخ فى أعلى ، وفخ فى أسفل ، ونحن فى الوسط لا نستطيع حراكا ..

فقالت « شامة » :

ــ وهل تصدق هــذه الألاعيب ، ما هى الا عبث أطفــال .. الا تستطيع أن تعتمد بيديك على الحائط ثم تنقلب فتصير فى الدهليز؟! وأعجبته فكرتها ، وسرعان ما نفذها ، وتبعته « شامة » فاذا بهــا الى جواره .. ورأى « وحش الفلا » باب القصر أمامه وله مصراعان، احدهما مقفول والثانى مفتوح يبدو من خلاله النــور .. فاختبــأ « وحش الفلا » خلف المصراع المقفول ، ونظر بعينيــه فرأى ثمانين رجــلا من أقوى الرجــال وأمامهم فارس مهول ، وهو يصيح فيهم قائلا :

ــ هل احكمتم وثاق الاسرى ؟ .. انى أخاف ان يفلت أحــدهم فيفك وثاق الآخرين .. فليذهب أحدكم اليهم ويطمئن اليهم ..

قفز أحد الرجال واقفا وشرع سيفه ، واتجه الى دهليز القلعــة .. وكان « وحش الفلا » مستعدا للقائه ، فما أن ابتعد عن البــاب حتى بادره بضربة قاضية من سيفه قضت عليه فى الحال ، وسحبته « شامة » الى جوار الحائط ..

وأبطأ الرجل على « سعدون » فصار من الغضب كالمجنون ، وأمر آخر أن يذهب ليرى ماذا حل به .. وكان « وحش الفلا » فى انتظاره فألحقه بأخيه .. وحين أبطأ الرجل الثــانى على « سعدون » هاج وماج ، وشرع سيفه فى يده وقد أحس أن خطرا يحدق به .. وأمر الرجال أن يتبعوه وأن يوقدوا الشموع وينيروا الدهليز .. وعرف «وحش الفلا» ما ينتظره من أخطار اذا ما وقعت عليه عيون الرجال .. فشرع سيفه ووقف فى وسط الدهليز .. وما أن أقبل الرجال حتى أخافهم منظره وضوء الشــموع ينعكس على حد سيفه ، وهو كأنه رسول الموت اليهم .. ورآه « سعدون » فصاح فى رجاله :

ــ لا يتقدم أحــد منكم حتى أرى أمر هــذا الرجل الغريب الذى تجاسر واقتحم علينا القلعة دون أن يخاف من قوتى أو يأبه لسطوتى .. وأنت أيها الفــارس المغتر بقــوته ســأعلمك كيف تحترم حرمة الرجال ، ولا تتجرأ على سيد الفرسان ..

ولم يمهله « وحش الفلا » فمــا كاد يتم كلامه حتى أطبق عليــه بحسامه .. ورد « سعدون » ضرباته بمهــارة .. ثم بدآ يصــولان ويجولان وهما يدهشان الرجال بما يبديان من فنون القتــال وحيل الطعن والنزال .. وطال بهمــا الامر حتى حل بهمــا التعب ، وزاد عليهما النصب .. وعزم كل منهما على القضاء على خصــمه بطعنة

نجلاء.. واختلفت بينهما الطعنتان، وكان السابق بالطعنة «سعدون» .. ولمحت «شامة» السيف وهو يكاد يهوى على حبيبها ، فأمسكت خنجرها من قبضته وأطلقته وقد وجهت ذبابته الى ساعد «سعدون» فسقط السيف من يده ، وكان «وحش الفلا» قد نزل عليه بسيفه، ـ وقد انكشف له غريمه ـ فأمسك عن طعنه ، والتفت الى « شامة » قائلا :

ـ لا شلت يداك يا « شامة » ..

ثم التفت الى « سعدون » قائلا :

ـ خذ سيفك يا « سعدون » وقاتل به ، ولا تقل « وحش الفلا » أخذنى غدرا ..

فقال له « سعدون » :

ـ يا بطل الزمان .. عندما أعدت سيفك الى جانبك التفت وراءك وتحدثت .. فمن كنت تخاطب ؟

ـ وما شأنك أنت يا « سعدون » ؟.. لقد كنت أخاطب الملكة «شامة» بنت الملك « أفراح » التى جئت هنا لأحصل على رأسك مهرا لها ..

ـ رأسي ؟ ألهذا السبب تجرأت على قلعتى ؟ .. قل لها أن تدخل لأرى من هى تلك التى يوضع رأسى مهرا لها ..

فصاح « وحش الفلا » طالبا من « شامة » الدخول ، فدخلت الدهليز ، وبهر جمالها « سعدون » فقال لها :

ـ ضاقت الدنيا على أبيك حتى لايطلب مهرك الا رأسي..؟ ولكن لأجل مثلك تهون الرءوس ، ولأجل هذا الفارس الذى قد روعنا ، ورفض أن يغدر ويخون .. وأنت يا فارس الزمان ، صار قتالك حراما فافعل بى ما تشاء ، واخرج سالما أنت وزوجك من قلعتى ..

ـ أنا لا أعود الا برأسك مهرا لها ..

ـ اذن .. هيا بنا الى خارج القلعة ، ولنتصارع ثلاث مرات .. فمن غلب كان الحاكم فى أمر صاحبه يفعل به ما يشاء ..

فوافق « وحش الفلا » .. وخرج الجميع الى الساحة الامامية للقلعة ، والرجال ينيرون المكان بشموعهم ، و « سعدون » قد استهان بالغلام لنحافته وصغر حجمه ، ومنى نفسه بالنصر عليه

وما أن وصلا الى الساحة الخارجية حتى أطبق كل منهما على الآخر .. وأسرع « سعدون » يمسك « وحش الفلا » من جنبيه ويرفعه عن الارض ثم يلقيه بكل قوته ، فاذ ب « وحش الفلا » ينزل

واقفا على قدميه .. ثم يهجم على « سعدون » ويلف يده على رقبته، ويمكنها من أذنه ويضغط عليها بكل قوته ، فاذ بـ «سعدون» يهوى الى الأرض وقد شلت حركته ، وسرعان ما برك « وحش الفلا » على كتفيه وسحب خنجره ، وأراد أن يقطع رأسه.. فقال «سعدون» :

ـ ارفع يدك حتى لا تندم .. هذه واحدة وبقيت مرتان ..

فخجل « وحش الفلا » وقام يعيد خنجره الى قرابه ، وسرعان ما وقف « سعدون » على قدميه ، وعادا يتشابكان ويتلاكمان ويتصارعان .. ولكن « وحش الفلا » غلبه فى المرة الثانية ، ثم عادوا الى القتال من جديد وقد أخذ « وحش الفلا » يحس بالتعب من مجالدة هذا الوحش الكاسر .. فأراد أن يسرع بالانتهاء من الصراع قبل أن تخذله قوته ، فمد يده الى عنق « سعدون » وأطبق عليه بكل قوته ، فوقع « سعدون » على الأرض ... وسرعان ما رقد « وحش الفلا » فوقه وسل خنجره ، وقال « سعدون » :

ـ أتريد أيها الفارس البطل أن تذبحنى ذبح البقر ..؟

فتركه « وحش الفلا » ووقف ، وقام «سعدون» ثم جلس راكعا، وقد مد يديه من خلف ظهره وطأطأ برأسه ، وقال له :

ـ اضرب رأسى هكذا .. واحكم ضربتك ..

وخجل « وحش الفلا » من « سعدون » فرمى بسيفه ، وأقبل الى رأس « سعدون » يقبلها ويقول :

ـ ليس مثلك من يموت هكذا أيها الفارس الصنديد ..

فهب « سعدون » من ركوعه ، وهو لا يصدق أذنيه واحتضن « وحش الفلا » بين يديه وقبله بين عينيه .. وقد صفت بينهما القلوب ، وزال الغل ، وانتفت الأحقاد .. وأمر رجاله أن يفتحوا أبواب القلعة ويعدوا الطعام ويقدموا الشراب.. وأكرم «وحش الفلا» و «شامة» مدة ثلاثة أيام .. ولما كان اليوم الرابع استأذن « وحش الفلا » فى الرحيل ، فقال له « سعدون » :

ـ خذنى معك أيها البطل الهمام أسير فى ركابك أنا ورجالى ... أو اقطع رأسى لتعود بها ..

قال له « وحش الفلا » :

ـ مثلك نادر بين الرجال .. وقد أكلنا سويا زادا لا يخونه الا كل غدار .. ولكن يا « سعدون » اطلق سراح هؤلاء الرجال ، ورد عليهم أموالهم وعتادهم ... وان شئت أن تصحبنى فعلى الرحب والسعة ..

كان الملك «أفراح» فى مجلسه ، وقد جلس الى جواره «سقرديون» يتبادلان الحديث ، وقال الملك « أفراح » :

ـ ترى ماذا حل ب « وحش الفلا » مع « سعدون » ..؟

قال « سقرديون » :

ـ لا تفكر فى « وحش الفلا » مرة أخرى ، فلا بد أنه قد لقى حتفه على يد « سعدون » ورجاله ..

وعندما أتى الصباح اذ بالقصر يمتلىء بالصياح ، وأقبل الحجاب يخبرون الملك أن عسكرا يلوح متجها الى المدينة .. فخرج الملك «أفراح» والحكيم «سقرديون» يستطلعان الامر .. ومن بعيد لاح لهما موكب كبير يتوسطه فارسان أحدهما أطول من باقى الرجال بذراع .. وظل الملك متحيرا فى أمر هذا الفارس حتى اقترب منهما الركب فاذ به يعرفه ، فركبه الهم لوقته وقال :

ـ هذا نتيجة تدبيرك يا « سقرديون » .. هذا « سعدون » يقبل علينا وسط رجاله كالمجنون.. وما أظن الا أن «وحش الفلا» أخبره بأننا طلبنا رأسه مهرا ل «شامة» ، وأحسب أنه قتل «وحش الفلا» وجاء الينا برجاله لينتقم منا شر انتقام .. ولسنا نقدر على نزاله ولا نحن نستطيع قتاله ..

ثم لوى عنق جواده وأسرع الى مدينته، ووراءه الحكيم «سقرديون» وعسكره ورجاله.. وأغلقوا أبواب المدينة ووقفوا على الأسوار، وقد أيقنوا جميعا بالهلاك تحت رماح « سعدون » ورجاله ..

***

عندما اوشك الركب أن يصل الى المدينة تركتهم « شامة » وتسللت وحدها دون ان يراها أحد ، وظل الركب فى سيره حتى وصل الى باب المدينة فرأى الملك «أفراح» «وحش الفلا» راكبا الى جوار «سعدون» .. فأطمأن باله وأمر بفتح باب المدينة .. وازدحم أهل المدينة من رجال ونساء وأطفال ، يتفرجون على « سعدون » ورجاله وقد عقد الخوف ألسنتهم ، فوقفوا ساكتين كأن على رءوسهم الطير .. وواصل « سعدون » و « وحش الفلا » والرجال سيرهم حتى قصر الملك « أفراح » ، فخرج للقائهم ، وصحبهم حتى قاعة عرشه ، وأمرهم بالجلوس من حوله .. فجلس « وحش الفلا » .. أما « سعدون » فقد رفض الجلوس وهو يقول :

ـ هل ضاقت عليك الدنيا فلم تجد مهرا لابنتك سوى رأسى أنا ..؟

قال الملك «أفراح» وهو يشير بعينيه الى « سقرديون » :

– يا بطل الزمان أنا لا دخل لى فى هذا الامر كله ..

فقال « سقرديون » :

– لا داعى لان تتغامز على يا ملك « أفراح » فنحن ما دبرنا هذا الا لنرى الفارس العظيم « سعدون » الشهير .. أما وقد جاء فقد قبلنا هذا مهرا من « وحش الفلا » .. والان لنأمر بالطعام والشراب فهذا وقت الافراح ..

وجلسوا الى الطعام يتبادلون الحديث والكلام .. ثم قام «سعدون» ورجاله ، وكذلك « وحش الفلا » الى مخيمهم ليناموا

***

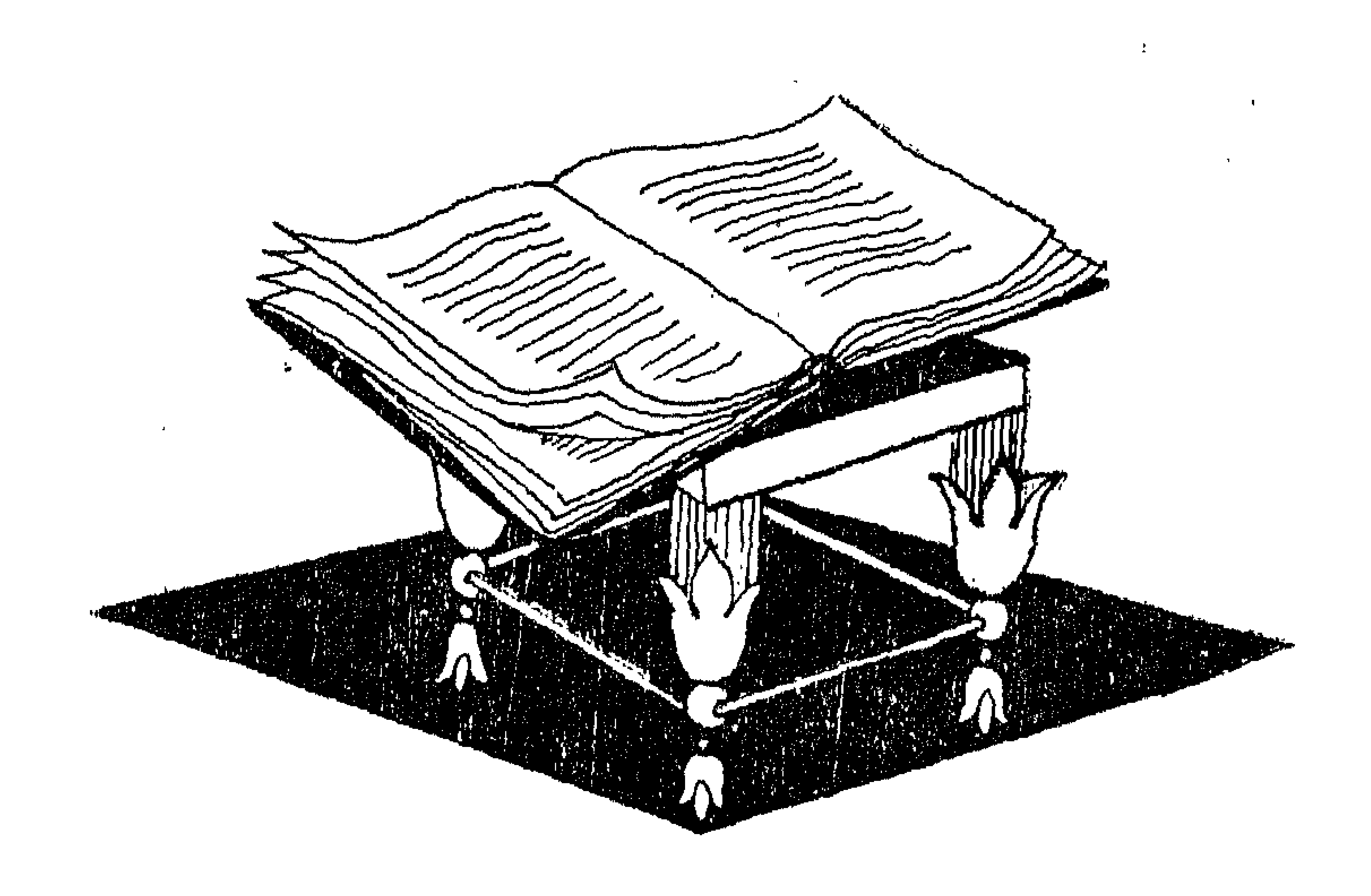
وفى الصباح اتجه « وحش الفلا » الى الديوان ، وقبل الارض بين يدى الملك ثم طلب منه الاذن بزواجه من «شامة» فالتفت الملك الى « سقرديون » الذى سكت قليلا ثم قال :

– يا بطل الابطال نحن طلبنا منك المهر فجئتنا به وبقى الحلوان .. والحلوان هو أن تأتينا بكتاب النيل ..

– وأين يوجد هذا الكتاب .. ؟

– أنا يابنى لا أعلم .. ولكن وحق زحل فى علاه ان لم تأتنى بهذا الكتاب فليس لك عندى زواج ..

فأقسم « وحش الفلا » أن يأتيه بكتاب النيل ، وقد امتلأ قلبه بالغصص ، وحل فيه الحزن بدلا من الفرح .. وأسرع يلقى «سعدون» ليخبره بعزمه على الرحيل بحثا عن كتاب النيل ..



الفصل الثامن

نور الإيمان

سار « وحش الفلا » وحيدا مستوحشا بين الصحارى والآكام ستين يوما كاملة ، وقد أخذ منه التعب مأخذه ، ونال منه الاجهاد مناله .. وكان فى اليوم الستين يسير الهوينا بجواده ، وقد خاف عليه من الموت وهو يذكر ليلته الاخيرة فى مدينة الدور ، وكيف أرادت « شامة » ان تضرب برأى أبيها عرض الحائط ، وتصحبه دون موافقته او موافقة الحكيم « سقرديون » وكيف قال لها :

ــ نحن قوم عرب اذا وعدنا وفينا ، واذا قدرنا عفونا ، واذا قلنا « لا » لا نقول « نعم » ..

وملأ الحزن قلبه وهو يذكر وداعهما ليلة الرحيل ، ويذكر محاولة « سعدون » أن يصحبه فى الطريق ، وكيف وعده « سعدون » أن يفديها بحياته ..

ورفع « وحش الفلا » رأسه ، وهو يبعد عن نفسه هذه الذكريات، فلمح من بعيد جبلا عاليا والى جانبه صومعة.. فوخز جواده يستحثه على الاسراع ، واتجه الى حيث الصومعة . وما أن وصل اليها حتى سمع صوت انسان يذكر الله ويردد الدعاء .. فاقترب من الباب وصاح بشاغل المكان بالتحية والسلام ، وصمت الصوت لحظة ثم قال :

ــ أهلا وسهلا بملك اليمن وغيرها من ملك الله ، الملك « سيف بن ذى يزن » .. انزل يا ملك من فوق الحصان ، واصعد عندى واتركه يرعى من نعم الله ، فقد ظل يحملك شهرين كاملين دون راحة ..

فاندهش « وحش الفلا » ولكنه أطاع ، وصعد الى ساكن الصومعة وهو يقول :

ــ لمن تقول هذا القول يا عمى وانا اسمى « وحش الفلا » ؟ ..

ــ هذا يا بنى اسم سماك به الملك « أفراح » .. أما اسمك الحقيقى فهو سيف من عند الملك الفتاح لتؤيد دين الاسلام ، وتقضى على الكفر

وعبادة النجوم والاوثان .. وقد آن الاوان لتعرف أسمك ونسبك ، ولتعلن عبادتك لله الواحد القهار دون ما يعبده أهل النار من افك وبهتان .. فقل يابني : أشهد أن لا اله الا الله ، وأن ابراهيم خليل الله ، وان محمدا رسول الله الذى يأتى فى آخر الزمان ..

وأشرق فى قلب « وحش الفلا » نور الايمان ، فأسلم قياده للشيخ « جياد » يعلمه الدين والصلاة .. وحكى له حكايته من بدايتها حتى أسره لـ « سعدون » مهرا لـ « شامة » ثم ما طلبه « سقرديون » من حلوان .. فقال الشيخ « جياد » :

ــ وأنت لو طفت الدنيا من الشرق الى الغرب لن تعرف طريق هذا الكتاب الا باذن الله . وقد شاء الله سعدك ، اذ ادخلك فى دينه ، وأجب على مساعدتك .. فاسمع منى .. اقض ليلك معى هنا ، وفى الصباح تكون قد استرحت من عناء الرحلة ومشقةالسفر .. فامض الى هذا الجبل فاصعده وانزل من الجانب الآخر تجد بحرا جاريا ، فأجعله على يسارك وسر أنت على اليمين .. فاذا عطشت فاشرب من الماء وان جعت فكل من الخضرة ، وواصل سيرك ثلاثة أيام حتى تصل الى أرض بطحاء متسعة بها بحر واسع .. فقف على شاطىء البحر الى وقت الغروب تلقاك دابة من دواب البحر ، تأتى وهى ناظرة للشمس وراءها تروم أن تخطفها .. وعند الغروب يدركها النوم فتنام الى شروق الشمس ، ثم تستيقظ فتجد الشمس قد ظهرت من الشرق فتمشى اليها تريد خطفها ، فتكون الشمس قد ارتفعت وتدور معها وهى ناظرة اليها الى أن تغرب .. فاذا وصلت اليها فاصعد على ظهرها ــ أو أى مكان شئت من جسدها ــ فهى لا تحس بك ، حتى تصل بك الى البر الثانى .. فليس لك وسيلة للوصول اليه الا هذه الوسيلة ، فسبحان من دبر الامر والحيلة .. فاذا ما وصلت الى البر الثانى ، فستجد من هى فى انتظارك

قال الملك « سيف » :

ــ ومن هى تلك التى فى انتظارى ؟

ــ كل شيء يعلن فى حينه .. وكل الاسباب توضع لك لتحارب الكفار وتنتصر عليهم ..

وقضى الملك « سيف » ليلته مع الشيخ « جياد » وفى الصباح ودعه وسار فى سبيله بعد أن ترك جواده عنده يرعى أمام الصومعة ، وظل فى طريقه حتى وصل الى البحر الواسع بعد ثلاثة أيام من السير المتواصل .. فقد رأى الدابة البحرية التى اخبره عنها الشيخ «جياد»

تنام على الشاطىء ، فتسلل وهو يذكر الله الى أن جلس بين ارياشها وهى لاتحس به .. وما أن أصبح الصباح حتى رفعت الدابة رأسها تروم أن تخطف الشمس ، وتحركت الى أن وصلت الى البر الثانى ، فوثب من فوقها وهو يتعجب من كبر حجمها ..

***

ظل الملك « سيف » يسير فى طريقه ، وهو غارق فى أفكاره ، الا أنه لمح من بعيد غبرة ثائرة سرعان ما تكشفت عن فارس قد اختفى جسده كله فى الحديد ، واخفى وجهه وراء لثام .. وما أن اقترب منه الفارس حتى صاح فيه :

ــ قف يا هذا ، واعلم أن هذا اليوم آخر زمانك ونهاية أيامك ..

ولم يرد « سيف » عليه ، كما لم يعبأ بحملاته وضرباته .. بل وقف وهو يردها بسيفه فى سهولة ويسر ، وأحس الفارس بالاجهاد كما نضح جواده بالعرق من طول الكر والفر .. فوقف لاهثا وهو يقول :

ــ الا تهاجمنى يافتى مثلما أهاجمك .. ؟

قال « سيف » :

ــ انى يا فتى أراك غير أهل للقتال ، ولو كنت من أرباب الحرب ماكنت تهاجمنى وأنت راكب وأنا ماش على الاقدام .. ومثلك لا يحاربه الرجال بالسيف والحراب وانما أنا أريك قدر الرجال .. فهم يفعلون هكذا بمثلك من المغرورين ..

ومد « سيف » يده يمسك عنق الجواد ، ورفع باليسرى الفارس عن ظهره ، ثم وضعه كما كان وسط سرج الجواد ، وانبهر الفارس وقال لاهثا :

ــ صدقت يا ملك ملوك اليمن ، ومبيد أهل الكفر والمحن ، ومطهر الارض من الكهانة والفتن .. انك ولا شك « سيف بن ذى يزن » ..

وعجب « سيف » أن يعرف الفارس اسمه ، فسأله عن سرمعرفته به ، فقال الفارس :

ــ اننى أيها الملك ما جئت الى هذه القفار الا خوفا عليك ، وأنا من ربات الحجال .. فأنا الملكة « طامة » وأمى حكيمة كاهنة اسمها الحكيمة « عاقلة » وحكايتى معك غريبة ، فاننى عندما كبرت سألت أمى أن تضرب الرمل لتعرف من أتزوج من الرجال ، فقالت ان زوجك من بلاد اليمن هو الملك « سيف بن ذى يزن » وأنه يأتى الى بلادنا فى طلب كتاب تاريخ النيل حلوانا ل « شامة » بنت الملك « أفراح » وانا

التى أساعده حتى يتزوجك .. ومن يوم سرت فى طلب « سعدون » وامى تحكى اخبارك لى أولا بأول ، حتى أخبرتنى بالامس أنك على ظهر الدابة فى طريقك الى هـذا المكان .. فسرت اليك لانجيك من الارصاد التى تحمى المدينة ، وهى التى أمرتنى أن أهاجمك بالسيف حتى تمسك الحصان بيدك اليمنى وتمسك السرج بيدك اليسرى ، فأعرف أنك الملك المطلوب ..

وكان « سـيف » يسمع حكايتها ، وهو مندهش من غرابتها ، فقاطعها قائلا :

ـ لست أظنك ايها الفارس الا كاذبا خفت على حياتك لما انهزمت، فاخترعت هذه الحكاية ..!

ولم ترد عليه « طامة » ولكنها مدت يدها الى اللثام فرفعته عن وجهها ، فنظر من تحته وجها كأنه البدر التمام .. وبهر جمالها الملك « سيف » وقال لها :

ـ أعيدى لثامك يا ربة الحسن والجمال وقد صدقتك .. ولكن مم تريد أمك الحكيمة « عاقلة » أن تنجينى ؟

ـ ان ملك المدينة «قمرون» وأهل مدينة قيمر يعبدون الكتاب.. ولهذا لقد صنعوا بالحكمة والسحر أرصادا حول مدينتهم ، فما أن يدخل غريب حتى تصيح عليه الارصاد فيدركه أهل المدينة ، ويدلهم عليه انسان من المرصد اسمه الغماز صنعه الحكماء المتقدمون ..

ـ هـذا حقا شيء يحير الالباب .. وكيف اذن استطيع الدخول الى المدينة ..؟

ـ سأسير بك حتى البرج العاشر من سور المدينة ، وستنتظرنا أمى فى أعـلاه ، ثم تدلى اليك بصندوق مربوط بحبال وبكر ترفعك به من فوق سور المدينة ..



الفصل التاسع

في أعماق الجب

كان الملك « سيف » يجلس مع الحكيمة « عاقلة » وابنتها الملكة « طامة » فى حديث عذب وكلام شهى ــ وقد اطمأن به المكان ــ حين سمعوا صياح الرجال والنساء وهرجا وجلبة ، والتفتت الحكيمة «عاقلة» وقالت له :

ــ لابد أن الغماز قد حكى عنك فأمر الملك « قمرون » بالتفتيش عليك .. وفى هذه المدينة ثلثمائة وستون حكيما ــ وأنا رئيستهم ــ ولابد أن يحاولوا عن طريق الحكمة أن يعرفوا مكانك ، ولكنك لو أطعتنى سأساعدك فى التغلب عليهم والهروب منهم والحصول على كتاب النيل

وأبدى الملك « سيف » ثقته فيها ، واستعداده لتنفيذ كل ما تطلب فأمرت الحكيمة « عاقلة » ابنتها « طامة » أن تحضر سمكة من جارهم الصياد ، وأن توهمه أنها لطعام ضيوف عندها .. واشترت « طامة » السمكة وعادت بها الى أمها التى فتحت بطنها وسلخت جلدها ، ولفت الملك « سيف » فى جلدها ، وتركت رأسه ورقبته ، ثم شقت صدر طائر كان عندها ووضعت رجليه على أكتاف « سيف » بينما جعلت يدى « سيف » من داخل صدر الطائر .. وبعد أن أحكمت رباط كل هذا ، ربطت الجميع بحبل طويل ، ودلت « سيف » وهو على هذا الحال فى بئر فى بيتها ، وأمرت ابنتها ان تظل معه فى البيت الى أن تعود اليها .. ثم ركبت بغلتها بعد أن أغلقت الباب عليهما ، وسارت الى ديوان الملك « قمرون » .. وما أن رآها الملك « قمرون » حتى قام ورحب بها ، وأخبرها أن الغماز قد انكسرت رقبته بعد أن أدى غايته ، وكشف عن دخول الغريب الى المدينة ، وأنه طلب الحكماء ليعرف منهم مكان هذا الغريب .. وما أن جاء الحكماء حتى أمر الملك بايحاء من « عاقلة » بسحبه ثلثمائة حكيم ، وترك ستين

منهم ليضربوا تحت الرمل ، ويعرفوا مكان الغريم ٠٠ وضرب الحكماء تحت الرمل ، وقالوا للملك :

ـ ان الغريم الذى دخل الى البلد كان فى صندوق من الخشب ، وطار به الصندوق حتى رماه فى المدينة ٠٠ فابتلعته سمكة ، وانقض عليه طير فصار ثلثا جثته فى بطن السمكة ، والثلث الثالث قبض عليه الطير ، والسمكة واقفة فى الماء ، والطير معلق فوقها ..

وثار الملك ، وأرغى وازبد ، والتفت للحكيمة « عاقلة » وقال لها :

ـ هل سمعت هذا الكلام ؟ ٠٠ هل فهمت شيئا ٠٠ ؟

ـ لا تغضب يا ملك الزمان واتركهم الى الغد ٠٠ أما أنتم يا أولادى الحكماء ، ألم أنهكم عن أكل المغلظات فهى تضع حجابا بين العقل وبين الحكمة ؟٠٠ وعلى أى حال استريحوا اليوم ونلتقى غدا ٠٠

وفى اليوم التالى ، أحضرت الحكيمة غزالا ، وجاءت بأجنحة الطائر فربطتها منشورة كأنها تطير ، وجعلتها على ظهر ذلك الغزال مثبتة فى عصا ، وربطت العصا من وسطها فى طرف حبل وجعلت الطرف الثانى فى بكرة ٠٠ وسحبت ذلك الحبل فصعد ذلك الغزال الى أعلا المكان ، وجاءت بلوح خشب وأمرت الملك « سيف » أن ينام فوقه ورفعته الى أن أصبح فى بطن الغزال ٠٠ ثم تركته على هذا الحال ، وتركت « طامة » معه ، وركبت بغلتها الى الديوان ٠ ووجدت هناك الحكماء وهم يجتهدون فى ضرب الرمل أمام الملك « قمرون » ٠٠ وقد اصابهم البلبال يغيرون ويعيدون حتى ضاق الملك بهم ، وصاح فيهم فى غضب :

ـ ماذا رأيتم فى رملكم يا كلاب الحكماء ٠٠ ؟ !

فقالوا له أن الغريم كان بالامس فى صندوق من الخشب ، وقد بلعته السمكة وانقض عليه الطير .. أما الان فقد أخذه وحش من وحوش البر ، وطار به عن الارض متجها الى السماء ٠٠ وما أن سمع الملك هذا الكلام ، حتى طاش عقله واصبح يردد كالمذهول :

ـ هل سمع أحد مثل هذا الكلام ؟.. هل هناك وحش من وحوش البر يخطف آدميا ويطير به فى السماء ..

وأخرج سيفه ، وقد اشتد به الغضب ، واطاح براس أقرب الحكماء اليه .. وضرب الثانى فقسمه نصفين ، وضرب الثالث فألحقه بأخويه .. والحكماء يجرون من أمامه ، وهو وراءهم يضرب فيهم بسيفه حتى اختفوا من أمامه ، وهم يرتجفون ، وعاد وهو يقول للحكيمة « عاقلة » :

ـ أهذا هو جهد الحكماء ؟ •• هــل يدخل غريب بلدنـا ليسرق معبودنا كتاب النيل ، وأنتساكتة مكتوفة اليدين .. فقالتالحكيمة « عاقلة » :

ـ أنا لست عاجزة عن ادراك الغريم •• ولو شئت لاحضرته بين يديك ، ولكنى أردت أن اختبر الحكماء لاعرف مدى صلاحهم •• وقد اصابنى الغم لسوء فهمهم وقلة حيلتهم • وغداة غد احضر لك الغريم ، وأسلمه بين يديك لتفعل به ما تشـاء ..

***

قالت الحكيمة « عاقلة » للملك « سيف » :

ـ لقد اســتطعت الان أن أخذل كل الحكماء •• ولم يعـد الملك « قمرون » يثق فى واحد منهم ، وأصبح كل اعتماده على..وسأحاول أن أصرفه عنك وانسيه أمرك ، ثم احصل أنا لك على كتاب النيل ، وتسافر من هنا بسلام ارضـاء لحب ابنتى « طـامة » لك ، وحتى تتزوجها بعد زواجك من الملكة « شامة » ••

قال « سيف » :

ـ كل شيء انما يتم بأمر الله •• ولكنى يا حكيمة أريد أن أرى كيف يعبد أهل مدينتكم هذا الكتاب •• ؟

وحاولت الحكيمة « عاقلة » أن تثنى الملك « سيف » عن عزمه ، وهى تذكر له ما يحف بهذا الامر من أخطار •• ولكنه أصر على ما يريد ، وعندما رأت الحكيمة عناده ، أمرته أن يخلع ثيابه ، وأن يدهن جسده بدهان أحمر جاءت به فاذا به حبشى اللون •• ثم البسته ثياب أحد غلمانها ، وأعطته حقيبة حكمتها ، وأمرته أن يحملها على كتفه ويسير وراءها حتى لا يشك أحد فيه •• ثم قامت وركبت على بغلتها ، وهو يسير بالحقيبة يتبعها ، حتى وصلت الى الديوان وحيت الملك بالسلام ، وجلست فى مرتبتها من الديوان ، وقالت للملك « قمرون » :

ـ الآن وقد عجز الحكماء أضرب أمامك تحت الرمل ، وأعرف لك مكان الغريم ••

وكان الملك « قمرون » مضطرب البال ، مشتت البلبال ، محتـار الفؤاد •• فنظر الى فعلها باهتمام •• فاذ بها تنادى على الغلام وتأخذ منه الحقيبة ، وتضرب تحت رملها وهى تتأمل فيه وتترجم معانيه ، ثم تبتسم وتقول له :

ـ أيها الملك السعيد •• اعلم أن ذلك الغريم الذى دخل بلادنا خاف لما عرف بأمر ما حل بالحكماء فهرب ••

واشتد غضب الملك «قمرون» .. ولم يحس قلبه بالراحة لما قالته الحكيمة « عاقلة » .. وقال لها :

ــ ما هذا الكلام ؟ .. اننى أعلم والحكماء يعلمون أن من دخل مدينتنا ، ووشى به الغماز ، فارس نبيل ضمن أن يأخذ كتاب النيل وانه لن يخرج من مدينتنا الا به ..

ــ ولكن الرمل يقول انه هرب .. !

ــ اذن ، لابد أنه أخذ معه كتاب النيل ان صدق ما يحكيه لك الرمل .. فهيا بنا الى القبة لنفتحها ، ونطمئن على وجود الكتاب بداخلها ، وأنه لم يسرق من صندوقه .. !

وكان « سيف » يسمع هذا الكلام وقلبه منقبض ، واحساسه بالضيق يتزايد .. واذ بالملك يقوم ومعه حاشيته ، وتبعه الحراس والحكماء وأمامهم الحكيمة « عاقلة » .. واقتربت منه الحكيمة فى غفلة من العيون ، وهمست له :

ــ اياك أن تدخل القبة معنا ، فان الكتاب مرصود باسمك .. فان دخلت القبة دار الصندوق ثلاث دورات ، وارتمى الكتاب تحت قدميك ، فيعرفون مكانك ويقتلونك بسيوفهم وانت وحيد .. !

ولم يستطع « سيف » أن يرد عليها ، اذ كان الموكب قد وصل الى المعبد الكبير .. وقد ازدحم حول الموكب جمع غفير من أهل المدينة ، وظل « سيف » عند الباب حتى وصل الملك والحكيمة الى القبة وفتحا الصندوق ، واذ بهم جميعا يخرون ساجدين .. الجند ، والعسكر وأهل المدينة وأولهم الملك «قمرون» والحكيمة .. وأحس « سيف » بدنوه من نهاية غربته وتشريده ، وبوجود الهدف أمامه دون عائق .. فتحرك متخطيا الرؤوس الراكعة متجها الى حيث الكتاب .. واذا بصوت كالرعد يدوى فى المعبد كله ، واذ بالصندوق يدور ثلاث دورات فوق قاعدته ، والكتاب ينحدر من مكانه ليستقر تحت قدمى الملك « سيف » ..

وأصاب الجميع الوجوم والذهول ، الا أن الملك « قمرون » هب من سجوده ، وامتشق سيفه وهو يقول :

ــ ها قد ظهر الغريم ، خذوه وباسيافكم مزقوه .. !

ونظر « سيف » الى حاجب قد أقبل عليه وبيده حسام ، فصرخ فى وجهه ولكمه فى صدره ، فألقاه وأخذ منه الحسام .. ومضى يدافع عن نفسه فى عزم وصبر واستبسال .. وكلما انقض عليه قوم فضهم بقوة ساعده ، وثبات جنانه ، وقد أسند ظهره الى جدار ــ والسيف

في يده يصول ويجول ـ والرجال أمامه تصرع وتجندل ٠٠ حتى أرخى الله سدول الليل وهو لا يهن ولا يمل ، والملك « قمرون » يستحث رجاله ويقوى عزم أبطاله ٠٠

وبينما « سيف » ينثنى ليتفادى طعنة رمح ، اذ بقدمه تنزلق على جمجمة قتيل فوقع على الارض ٠٠ وحاول أن يقف على قدميه ، ولكن الجند والحجاب كانوا قد تكاثروا عليه وأوثقوا يديه وساقوه الى « قمرون » ٠٠

وأمر الملك « قمرون » الحجاب أن يمضوا به الى جب فى الجبل عمقه ثمانون ذراعا ويرموه فيه ٠٠ فجروه أمامهم الى أن صعدوا به الجبل ، وتعاون خمسون رجلا فى رفع غطاء الجب المصنوع من الرصاص ٠٠

أما الحكيمة « عاقلة » فانها ادعت للملك أنها لجأت الى هذه الحيلة حتى يكشف الكتاب عن الغريم فيمسكوه دون عناء ، وتركت الملك المسرور ٠٠ وركبت بغلتها الى الجبل حيث وجدت القوم يوشكون على قذف « سيف » فى الجب ٠٠ فأمرتهم أن يقيدوه فى الحبال ، ويدلوه فى الجب حتى يموت من الخوف والجوع جزاء ما سولت له نفسه من التعدى على كتابهم المعبود ٠٠ فنفذوا كلامها ٠ وسرعان ما كان « سيف » وحده فى أعماق الجب بلا رفيق الا الحزن واللوعة ٠٠



الفصـل العاشـر

الشيخ عبد السلام

كان الملك « سيف » يتضرع الى الله فى أمل وثقة ، وقد ضــاق به الامر واسودت أمامه الدنيا .. واذ بحائط الجب قد انشق عن شخص طويل رأسه فى سقف الجب وقدماه على أرضه .. وكادت المفاجأة تطير بعقل « سيف » الا أنه تشدد وتجلد ، ووطن نفسه على الموت يأتيـه من أى طريق .. الا ان هذا الشخص انحنى على يد « سيف » فقبلها، ثم قبل رجليه وقال له :

ــ يا ملك الزمان أنا مستجير بك فانقذنى من الهلاك والتدمير ..

واشتد العجب بالملك « سيف » من هذا الشــــخص المهول المطلق السراح ، يتذلل له وهو المقيد العاجز عن الحركة ، فقال له :

ــ يا هذا ما الذى أعمى بصيرتك ؟ .. الا ترى ما أنا فيه من أسر وقيد ؟ ..

فتقدم منه وفك يدى الملك « سيف » ورجليه ، وقال له :

ــ أأمرنى بما تشاء ، فقط عدنى بأن تنقذنى من الهلاك .. !

فقال الملك « سيف » :

ــ أريد السوط المطلسم الذى كان معى ..

فمد ذلك الشخص يده فى الحائط ، واذا به يعود حاملا السوط ، ويقول له :

ــ خذ هــذا سوطك لاتسحبه والا قتلتنى ..

ــ يا هــــذا من تكون .. ؟ !

ــ أنا أختك فى الرضاعة ، لأن أمى أرضعتك وانت طفل واســـمى « عاقصة » بنت الملك الابيض .. نحن قوم مؤمنون بالله رب العالمين ، نسكن فى جبال القمر ، وعندنا شيخ صالح يقيم فى صومعة يعبــد الله ، فتعلمنا منه العبادة .. ولكن سكن عندنا مارد جبار كافر من

الكفار يقال له المختطف الاقطع ، أراد ان يتزوجنى .. فوافق أبى خوفا منه ، فذهبت الى العابد الصالح الذى عندنا وشكوت له حالى ، فقال لى : لافرج لك منه الا على يد الملك التبعى الحميرى حاكم اليمن ، ومبطل الفتن ، الملك « سيف بن ذى يزن » .. فلما سألته عن مكانك، قال لى اسألى أمك عنه فانها أمك وامه ، فلما سألت أمى قالت لى : يا « عاقصة » لقد رماه الملك « قمرون » فى الجب .. طيرى اليه ، واطلقيه ، وخذيه معك الى المختطف فانه اخوك وواجب عليه أن يحميك ..

ثم تقدمت اليه وحملته ، وضربت الارض فانفتحت ، وطارت فى الجو ثم نزلت الى الارض امام صومعة الشيخ «عبد السلام» .. ولما ارادت أن تستأذن الشيخ فى الدخول سمعته يقول :

ــ ادخل يا « سيف بن ذى يزن » ستقضى الليل عندى ، وفى الغد تأتى « عاقصة » لتأخذك الى قصر المارد « المختطف » ..

* * *

وقضى الملك « سيف » ليلته فى العبادة مع الشيخ « عبد السلام » وهو يلقنه أصول الاسلام .. وفى الصباح جاءت « عاقصة » فحملته وطارت به مقدار ساعة ، ثم وضعته قرب قصر المارد وتركته يكمل الطريق لأنها لا تستطيع الاقتراب من القصر ..

وسار الملك « سيف » متجها الى القصر ، وأخذ يطوف حوله وهو يفكر فى طريقة لدخوله أو الصعود اليه .. واذ به يجد شباكا قد فتح واشباحا منه تشير له ، ثم اذ بمن يقفون فى الشباك يدلون له حبلا، فربط الملك « سيف » نفسه فى الحبل وسرعان ما وجد نفسه فى القصر .. ورأى اربعين بنتا ينادونه باسمه فأصابته الدهشة والحيرة ، وسألهن ، من هن وكيف عرفن اسمه ؟ .. فقالت واحدة :

ــ انا اسمى الملكة « ناهد » بنت ملك الصين ، وهؤلاء البنات من بنات ملوك الاقاليم .. خطفنا هذا المارد « المختطف » وأتى بنا الى هنا ليثبت قدرته على ملوك الانس .. وقد طال بنا الزمان على هذا الحال فى انتظار من يخلصنا ، وقد أتانى هاتف فى منامى وقال لى : لاتحزنى يا « ناهد » فان خلاصك على يد الملك « سيف » يقتل « المختطف » وهو الذى قطع يده فى بلاد الاحباش

ثم التفتت اليه ، وقالت تسأله :

ــ بحق الاله الذى تعبده ألست أنت الملك « سيف بن ذى يزن »

فلما أكد لها انه هو الملك « سيف » مدت يدها وأمسكت يده ، وأعلنت اسلامها على يديه ، ونطقت بالشهادتين .. ثم تقدمت باقى

البنات وأسلمن مثلها ، وما كادت البنت الاخيرة تنطق بالشـــهادتين حتى أظلمت الدنيا ، وانعقد الغبار فى الجو ، وأسرعت كل بنـت الى مكانها وهن يحذرن الملك « سيف » من آن المارد قد وصل ٠٠ وما كاد المارد « المختطف » يصل وينظر الى الملك « سيف » حتى عرفه وصاح به وهو يهدر ويصرخ :

ـ ما الذى اتى بك الى هذا المكان ، اليوم آخذ بثأرى منك ، واقطع يديك ٠٠

وما أن أتم المارد كلامه ، حتى رفع « سيف » السوط فى يده وضربه ضربة قاضية ٠ واحترق المارد وصار كوم تراب واقبلت « عاقصة » وهى فرحة مستبشرة ، وقالت له :

ـ لاشلت يداك يا ملك الزمان .. لقد جئتك بمن يثبت لك بأنى اختك .. هذه أمى التى أرضعتك .. ولما رآها « سيف » عرفهـا ، وصدق كلام « عاقصة » وقال لها :

ـ أريد منك أن تعيدى كل بنت من هؤلاء الى أهلها ..

فأجابته « عاقصة » الى ما أراد ، وظلت تحمل كل واحدة الى قصر ابيها وتخبر أهلها ان الذى انقذها هو الملك « سيف » وأنها اصبحت على دين الاسلام .. وعندما عادت « عاقصة » من آخر رحلة لها لم يبق الا الملكة « ناهد » ٠٠ ولكن « ناهد » رفضت أن تذهب الى اهلها ، وطلبت من الملك « سيف » ان يتزوج بها ، فأخبرها انه آل على نفسه الا يتزوج قبل « شامة » بنت الملك « أفراح » ٠٠ فغضبت « ناهد » وقالت له :

ـ أسأل الله العظيم بحرمة الخليل ابراهيم أن يسوقك الى أرضى عاريا مكشوف الرأس حتى أشفى قلبى منك بين النـــاس ، ويكون خاطرك مكسورا كما كسرت بخاطرى ..

ـ تقبل الله العظيم دعاءك ، وتكونين مريضة عمياء ، ويكون على يدى شفاؤك ٠٠

ثم حملتها « عاقصة » وعادت بها الى أهلها ، وعـــادت الى الملك « سيف » فأوصلته الى الشيخ « عبد السلام » الذى رحب به وأمره أن يصلى معه صلاة الوداع لان أجله قد حان ، وأوصاه أن يكفنه بكفن وضعه تحت رأسه حين يموت وان يصلى عليه ويدفنه ٠٠

ومات الشيخ « عبد السلام » ونفذ « سيف » وصيته ، ودفنه الى جوار صـومعته وجلس ينتظر « عاقصة » ..

الفصل الحادى عشر

الخاتم السحرى

حملت « عاقصة » « سيف » وظلت طائره به فترة طويلة ، حتى وصلا الى قبة عالية يخرج المـــاء من أربع جهـات منها .. فوقف « سيف » يتأمل الانهار الاربعة ، فاذ به يلاحظ أن اثنين منها يغوران فى الارض بينما يظل اثنان يجريان فوقها ·· فسأل عنها « عاقصة » التى قالت له :

ـ النهرآن الظاهران هما سيحون وجيحون وهما يسيران الى بلاد الترك والروم .. أما الغائران فأحدهما الفرات والثانى اسمه النيل الذى جئت أنت فى طلب كتابه ..

فقـــال « سيف » :

ـ نعم ، ولم أحصل على شىء حتى الآن .. احمليني الى مدينـة الملك « قمرون » لاستولى عليه وأعود به ..

ـ لم يحن الوقت بعد يا ملك الزمان ، فان الشيخ « عبد السلام» قد أمرنى قبل أن يموت ان احملك الى عجـائب السـبع مدائن المطلسمات التى انشأ كل واحدة منها حكيم ، وضع فيها من أمور الحكمة ما يحير الالباب ..

وحملت «عاقصة» الملك «سيف» وطارت به فى الجو مقدار ساعة ، ثم نزلت فى واد ملىء بالزهور والانهار والنخيل والطيور ·· وقالت :

ـ هذه أول مدينة ، ولا يمكننى أن اسير معك اكثر من هـــذا .. فاذهب لأنت وسأظل هنا بانتظارك ..

وبينما هو يقترب من باب المدينة اذ به يجد سبعة فرسان كلهم يرتدون الدروع ويحملون السيوف والرماح ، وهم يتبادلون الضرب والطعان وقد اشتدت بهم الحرب وعلا عليهم الغبـــار ·· فتقدم منهم

الملك « سيف » وصاح فيهم بصوت مرتفع :

ـ ما هذه الفعال ؟ .. كيف تتضاربون بالسيوف والرماح وأنا أراكم متشابهين فى الشكل والملامح كأنكم أقارب .. ؟!

فكف الفرسان عن الطعان ، ووقفوا ينظرون الى الملك « سيف » ثم تقدم واحد منهم اليه وقال :

ـ صدقت أيها الفارس النبيل ، فنحن كلنا أخوة من أم واحدة واب واحد .. وقد مات أبونا الحكيم « افلاطون » وترك لنا ذخيرة عظيمة القيمة ، وكل منا يريد أن يأخذها لنفسه .. فتركنا الحكم بيننا للسيوف والرماح ..

ـ وما هى هذه الذخيرة العظيمة التى تركها أبوكم ؟

ـ هى قلنسوة صنعت بالحكمة ، كل من لبسها يختفى عن الجن والانس ...

فأمرهم الملك « سيف » أن ينزلوا عن خيولهم حتى يحكم بينهم ويفصل فى نزاعهم ، وأخذ منهم القلنسوة .. ثم أمسك بقوسه وأوتر سهما ، ثم جذبه فخرج السهم بقوة واندفاع ، وطلب منهم أن يتسابقوا الى السهم فمن اتى به أولا فاز بالقلنسوة .. وأندفع الاخوة يتسابقون الى أن ابتعدوا عن الملك « سيف » فوضع القلنسوة على رأسه حتى يعرف أثرها ، واذا بواحد منهم قد عاد بالسهم فى يده واخوته يتبعونه فى سرعة .. فلما وصل الملك « سيف » أخذ يتلفت حوله ، وكذلك كان أخوته يتلفتون وهم يتصايحون وينادون على الفارس الغريب الذى اختفى بذخيرتهم .. فعلم الملك « سيف » أن أمر القلنسوة صحيح ، وانها تخفيه عن انظار الانس .. فشاء أن يجربها فى الجن ، فاتجه الى مكان « عاقصة » وأخذ ينادى عليها ، وهى تتلفت يمينا ويسارا ولا تراه .. فلما ناداها مرة أخرى ، وقفت مكانها وقالت له :

ـ كأنى بك قد اخذت القلنسوة التى صنعها الحكيم « أفلاطون » وتركت أولاده يتحسرون ، لقد ماتت الملوك حسرة عليها .. وكل من سعى ليحصل عليها دون جدوى .. ولكننى يا ملك لا أستطيع أن أحملك وانت تلبسها ..

فخلع الملك « سيف » القلنسوة وأعطاها لـ « عاقصة » تحفظها له ، ثم حملته وطارت به فى الجو مدة ساعة ، ثم نزلت به الى الارض وقالت له :

ـ أمامك الآن المدينة الثانية فامض اليها وحدك ، أما أنا فلا أستطيع أن اتقدم اكثر من هذا ..

واخترق الملك « سيف » الوادى ووصل الى نهايته ، فرأى مدينة كاملة البنيان .. وعلى باب تلك المدينة شخص من النحاس الاصفر راكب على حصان من الحديد ، وفى فمه بوق من الفضة البيضاء ، ولا تنقصه الا الروح ليتحرك ويسير .. والى جوار هذا الشخص النحاسى الف فارس مدرعين يركبون الخيول ويمسكون الرماح ويتقلدون بالسيوف ..

وما ان اقترب من باب المدينة حتى تحرك التمثال النحاسى وزعق فى البوق ، فأسرع اليه الفرسان يحيطون به ويمسكونه ويوثقون يديه وقدميه ، وحملوه الى حيث ملكهم ورموا به أمامه ، وصاح فيهم الملك :

ـ أنت صاحب العلامة ، على خدك خال وفى وسطه شامة .. أنت الذى تجرى النيل من الحبشة وتقضى على عبادة النجوم والنيران .. انت غريمنا ولا غريم لنا غيرك ..

وأمر ملك المدينة ـ وهو أعجمى اسمه « عبود خان » ـ باحضار القبطان ، فحضر رجل ضخم الجثة بادى القوة ، عليه ملامح الشجاعة والقدرة ، وأمره الملك أن يضع « سيف » فى زكيبة ، وأن يعلق فى الزكيبة حجرا كبيرا ، وأن يأخذه فى قارب حتى يصل الى القناطر التى أقيمت تحت القصر .. فاذا ما أطل عليهم الملك وأشار له بيده ، ينقله الى جانب القارب .. فاذا اشار اليه فى المرة الثانية رماه فى البحر ..

وامسك القبطان بـ « سيف » وحمله ورجاله الى مكانه ، وما ان وصل الى داخل القصر حتى أحضر تنور النار وسجد لها ، وأمره أن يدخل معه فى عبادة النار ، ولما قال الملك « سيف » أنه لا يعبد الا الله ، أخذ القبطان يتفنن فى تعذيب الملك « سيف » وهو يشرب الخمر ، ويضربه ضربا شديدا الى أن أخذ منه التعب مأخذه ، فتركه مشدودا الى اعمدة من حديد وقد امتلأ جسده بآثار الضرب ، واختلطت فيه الدماء بالعرق وذهب لينام

وامتلأ قلب « سيف » بالاسى والحزن ، وأخذ يذكر الملكة «شامة» وهى عنه بعيدة ، وقد فقد الامل فى أن يراها مرة أخرى ، ثم أخذ يتضرع الى الله ويستغيث برحمته .. واذ به يرى القبطان يعود اليه مهرولا وهو يبكى بكاء شديدا ، وقبل رأس الملك « سيف » وحل وثاقه ، وصار يقبله وهو يبكى ويعتذر اليه ويقول :

ـ ياسيدى أنا أقول على يديك حقا وصدقا وعدلا ، أشهد أن

لا اله الا الله ، وان ابراهيم خليل الله ، وان محمدا خاتم رسله .. لقد آمنت من اليوم ، وانى برىء من أى عبادة تشرك بالله ..

دهش الملك « سيف » واحتار ، وأخذ بيد القبطان وقال له :

— لا عليك ياسيدى القبطان .. أخبرنى ما الذى حدث ؟

— لقد كنت متجها الى محل نومى ، بعد ان فرغت من تعذيبك واعبادة النار ، واذا بشيخ جليل يعترضنى ، ويقبض على خناقى ، ويصرخ فى وجهى — وقد أصابت هيبته شغاف قلبى — ويأمرنى بالايمان ، وأن أعبد الملك الواحد القهار ، واراد الله لى الخير فآمنت على يديه وأخبرنى انه الخضر عليه السلام ، وأمرنى ان افك وثاقك وان اكون فى خدمتك ..

وما أن سمع الملك « سيف » هذا الكلام حتى خر ساجدا وقال له :

— الحمد لله على هدايتك أيها القبطان .. ومن الآن سنغير اسمك من عبد النار الى عبد الصمد ، ولكن احك لى سر ما حدث معى .. وهل من عادة مدينتكم ان تقابل الاغراب بمثل هذه الاساءة والتعذيب ؟

— لا يا مولاى .. ولكن هذا الرصد الذى كان على الباب كان بانتظارك انت ، وكذلك هؤلاء الفرسان الالف ، فان الملك « عبود خان » له ذخيرة عظيمة ورثها عن أبيه — وهى خاتم مطلسم كل من لبسه يملك قوة الموت بلا سيف ولا سنان — فكل من أشار اليه باصبعه الذى يحمل الخاتم سقطت رأسه عن جسده ، وقد خاف « عبود خان » على ذخيرته تلك ، فجمع الحكماء وطلب منهم أن يبحثوا فى علومهم ويخبروه هل سيتمكن احد من أخذ هذه الذخيرة منه .. فقالوا له ان الذى يأخذها شاب صغير أمرد على خده اليمين خال اخضر ، وفى وسط الخال شامة ، وأسمه الملك « سيف بن ذى يزن » وهو مبيد أهل الكفر وناشر راية الاسلام .. فأمرهم الملك ان يصنعوا ذلك الشخص النحاسى ويرصدوه حتى يدل عليك حين اقترابك من المدينة ، وخصص ألفا من جنده ليمسكوك لحظة أن يدل عليك هذا التمثال المرصود

فعجب الملك « سيف » من تصاريف القدر ، وأمر القبطان « عبد الصمد » أن يعرض الاسلام على أهل بيته ، فأسلموا جميعا الا جارية بيضاء أبت أن ترجع عن عبادة النار ، فقتلها القبطان بعد أن عرض عليها الايمان ثلاث مرات .. ثم وضعها فى الزكيبة وترك قدميها ظاهرتين حتى يخدع الملك « عبود خان » وسار بها فى قاربه حتى القناطر ، وكان الملك « عبود خان » ينظر من نافذة قصره .. فأشار له بيده فرفع الزكيبة الى حافة القارب . وعندما أشار له للمرة

الثانية قذف بها الى البحر .. واستخف الفرح بالملك « عبود خان » فظل يصفق بيديه ، وكان الملك «سيف» يقف من بعيد يرقبه ، فرأى شيئا يلمع يسقط من اصبعه فى الماء

ولما عاد القبطان « عبد الصمد » حكى له الملك « سيف » بما رأى ، فأسرع القبطان بقاربه ورمى بشبكته فى المـاء .. وحين رفعها رأى فيها سمكة جميلة الشكل فحملها الى الملك «سيف» .. وحين فتح الملك « سيف » بطن السمكة ، وجد فيها الخاتم فوضعه فى اصبعه ، وحمد ربه وشكره ودبر بينه وبين القبطان « عبد الصمد » أمرا .. فلما كان الصباح اتجه الملك « سيف » الى ديوان الملك « عبود خان » الذى ذهل عندما رآه ، وهب واقفا وهو يصيح حتى اجتمعت رجاله والتف به أهل المدينة ، ولكن الملك « سيف » رفع يده وقال :

ـ لقد أتيت لك لأطلب منك ان تدخل فى عبادة الرحمـن الرحيـم والا أطحت برأسك بهذا الخاتم ..

وما ان رأى الملك « عبود خان » ورجاله الخاتم فى يد « سيف » حتى اشتد اضطرابهم ، وتصايح الرجال بأن يخلصهم من ظلم « عبود خان » وجوره وعسفه .. فأشار الملك « سيف » بأصبعه الى « عبود خان » واذا برأسه تسقط عن كتفيه !..

وظل « سيف » فى المدينة فترة يعلم الناس الاسلام والايمان حتى أسلموا جميعا ، وأمرهم أن يبايعوا القبطان « عبد الصـمد » ملكا عليهم ، ثم أوصاه بهم وأمره أن يعدل فى حكمه والا يحيد عن دينه ، وودع أهل المدينة وأخذ الخاتم واتجه الى حيث كانت « عاقصة » تنتظره ، وقد بدأ الخوف عليه يشغل بالها ويحير أفكارها



الفصل الثانى عشر

الشيخ جياد

ما أن رأت « عاقصة » الملك « سيف » مقبلا عليهـا حتى ملأها الفرح ، واقبلت تسأله عما حدث .. فأخبرها بحكايته وأراها الخاتم فقالت له :

ـ لقد أنقذك الله بفضله ، لكنى ما عدت اذهب بك الى أى مدينة من المدن الباقية .. فقد حان الحين لتسترد كتاب النيل بلا مزيد من التسويف والتأجيل

وحملته « عاقصة » وطارت به الى مدينة قيمر ، وانزلته الى جوار الجب وأعطته القلنسوة ، وتركته وانصرفت ..

***

طال اتشغال « طامة » بأمر الملك « سيف » بعد أن عرفت أن الملك « قمرون » قد رماه فى الجب .. وكانت أمها تراها وهى باكية، فكانت تطمئنها وتقول لها ان الملك « سيف » لا بد أن يعود لاخذ كتاب النيل ، فهو به موعود وبنصر من عند الله منصور . وفى ذات يوم طال بـ « طامة » البكاء ، فضربت لها الحكيمة « عاقلة » تخت الرمل ، وحكت لها ما حل به ثم قالت :

ـ أبشرى بأن الملك سوف يعود بل هو فى طريقه الآن الينا ..

وما أتمت كلامها حتى كأن الملك « سيف » يطرق الباب ففتحت له « طامة » وقلبها قد استثاره الفرح ، وذهبت عنه الاحزان ، ورحبت هى وأمها به .. وجلستا معه تحادثانه ويحادثهما فترة من الزمان ، وختم الملك « سيف » حديثه بأن سأل الحكيمة «عاقلة» عما يفعل ليحصل على كتاب النيل ، فقالت له :

ـ فى الغد يذهب الملك وحاشيته لاداء فروض العبادة للكتاب ، فتعال معى والبس القلنسوة المسحورة ، فلن يراك أحد اذا بما أخذت كتاب النيل ، ووافق الملك « سيف » على هذا التدبير ، وقام ينام

ليستريح من عناء رحلته وقد أحس بالامل يملؤه ببلوغ أمنيته ..

وفى الصباح سار مع الحكيمة « عاقلة » حتى الديوان ، وقد لبس القلنسوة فاختفى عن الأنظار ، وما أن اكتمل الديوان حتى قام الملك ومن معه الى حيث القبة ، ودخلوا اليها ثم سجدوا امامهـــا عندما فتح الملك صندوق الكتاب .. وأخذ الملك « سيف » يتخطى رءوس الساجدين دون أن يراه أحد حتى وصل الى القبة ، فدار الصندوق ثلاث دورات ووقع الكتاب عند قدميه ، فأخـذه « سيف » وأسرع الى بيت الحكيمة « عاقلة » .. أما الملك « قمرون » فقد طار عقله ، وصار يصرخ كالمجنون ، واخذت الحكيمة «عاقلة» تطيب من خاطره وتعده بامساك الغريم واعادة الكتاب .. ثم تركته وعادت الى البيت

فهنأت « سيفا » بحصـوله على مايريد ، وطلبت منـه أن يتزوج ابنتها « طامة » جزاء مساعدتها له فقال لها :

ـ ان « طامة » هى ست البنات .. ولكنى لا أتزوج بأحد الا بعد أن أتزوج « شامة » بنت الملك « أفراح » ..

وحاولت الحكيمة « عاقلة » أن تثنيه عن هذا العزم الذى انتواه وهى تلين له فى الكلام مرة وتقسو عليه بالتهديد مرات ، وهو لا يسمع منها ولا يرد عليها .. وتركها وذهب الى حيث ينام ، وجعل الكتاب والقلنسوة تحت رأسه ، فلما أصبح الصباح وأفاق من نومه لم يجد القلنسوة فى المكان الذى وضعها فيه ، فسأل عنها الحكيمة «عاقلة» فنفت معرفتها بمكانها وقالت « طامة » :

ـ ان القلنسوة عندى ولا أعطيها لك حتى تتزوج بى ..

قال لها « سيف » :

ـ خذيها .. بارك الله لك فيها ، أنا لست أتوكل على القلنسوة وانما أنا أتوكل على الله

وأخذ الكتاب وسار قاصـــدا مدينة الدور ليعطى الكتاب للملك « أفراح » حلوانا ل «شامة» .. اما الحكيمة « عاقلة » فقد احزنها بكاء ابنتها « طامة » فركبت بغلتها وسارت الى الديوان ، ودخلت على الملك « قمرون » وقالت له :

ـ لقد ضربت الرمل ، وعرفت أن الغريم الذى أخذ الكتاب يسير الآن فى البر الطويل متجها الى البحر الذى تقف فيه الدابة الكبيرة .. فان أردت أن تقبض عليه فهذا وقت العمل والا أفلت من يدك .. !

وسرعان ما أمر « قمرون » الفرسان بالخروج والبحث عن الملك « سيف » وأخرج كل جيشه وكل رجاله .. وما مر اليوم والثانى

حتى ادرك الفرســـان « سيفا » فأحاطوا به من كل جانب ، وهم يصيحون به ويسرعون اليــه ٠٠ وما أن نظرهم « ســيف » حتى أطلق ســاقيه للريح الى أن مالت الشمس للغروب ٠٠ فاختفى بين الصخور والاحجار ، وقد ستره الظلام عن أعين أعدائه ولم يقعوا له على أثر

وأمر الملك « قمرون » رجاله فســدوا المنافذ والمسالك حتى لا يتسلل من بين أيديهم فى الظلام .. وظل « سيف » ينتظر حتى مر من الليل ثلثاه وران الكرى على أعين الجنود ، فتســلل من مكمنه قاصدا مكان الدابة ليلحق بها قبل الصــباح ، وأحس به الحراس فأيقظوا المعسكر كله .. وداروا يبحثون عنه ويفتشون عليه ، ولمحه أحدهم وهو يتسلل بين الصخور فصاح منبها رفاقه .. وما أن أحس « سيف » ان الجنود قد عرفوا مكانه ، حتى أسرع يجرى بكل قوته وهم يتابعونه ويجرون وراءه والليل يوشك أن ينقضى ، وقد قرب موعد ظهور الشمس

***

ووصل « سيف » وهو يلهث الى مكان الدابة البحرية الكبيرة ، وقد بدأت طلائع الفجر تظهر .. وأوشك الرجال أن يلحقوا به ، فقفز الملك « سيف » على ظهر الدابة ، وكانت قد أفاقت من غفوتها ونظرت الى الشمس .. فرأتها قد ارتفعت عن الارض فصــاحت بصــوت كالرعد ، وبدأت تتحرك متجهة اليها لتخطفها و « سيف » مستقر على ظهرها .. وأخاف صوت الدابة فرسان الملك «قمرون» وأرعبهم شكلها ، فأسرعوا هاربين والى ملكهم عائدين ، وقالوا له :

ــ ان الغريم عند ما وصل الى الدابة ، ظنها أرضا أو جبلا فطلع عليها ، وها هى قد صارت فى البحر وهو على ظهرها

فكاد « قمرون » يجن ، وأمر باحضــار الحكيمة « عاقلة » التى قالت له :

ــ لقد أخبرتك بمكانه وأنت الذى قصرت فى الامساك به ، ولــكنى سأذهب الى محل حكمتى لأعرف مكانه ، أن لم تكن قد أكلته الدابة واسترحنا منه ..

وظل « سيف » على ظهر الدابة حتى وصلت الى البر الثــانى ، فنزل عن ظهرها وذهب الى مكان الشيخ « جياد » فقابله بالترحاب وقص « سيف » عليه ما حدث له حتى حصل على الكتاب ، فقــال له الشيخ « جياد » :

ــ ها أنت ذا قد حصلت على ماتريد ، وهاهو ذا جوادك أمامك ، فخذه فى الغد واذهب الى بلادك .. أما أنا فمسافر السفر البعيد ، فانتظر لتفعل معى كما فعلت بأخى « عبد السلام »

فى الصباح مات الشيخ « جياد » فكفنه الملك « سيف » وصلى عليه ودفنه ، ثم ركب حصانه وحمل الكتاب واتجه الى مدينة الملك « أفراح »



الفصل الثالث عشر

مناطح البغال

اشتد القلق بالمقدم «سعدون» عند ما طال غياب « وحش الفلاة » ، فأسرع ذات يوم يقتحم ديوان الملك « أفراح » ويدخل عليه بلا استئذان ، وهو يهدر ويتوعد ، ويقول :

ـ أين « وحش الفلاة » .. ؟ لقد مضت مدة ولم نسمع عنه شيئا .. ؟

فقام الملك « أفراح » يطيب خاطره ، ويلين له فى الكلام ، ويقول :

ـ يامقدم « سعدون » أن « وحش الفلاة » قد قطع على نفسه عهدا أن يعود بحلوان « شامة » وهو سيعود بحق زحل بالحلوان كما عاد بك فى المهر ، فنقيم الأفراح ونزوجه من الاميرة « شامة » ..

ـ ما هذه الحكاية الطويلة يا ملك « أفراح » ؟ .. ان هذا كله من تدبير « سقرديون » هذا الذى يدس عليك الفسق والخداع ويكره استاذى « وحش الفلاة » .. ولكنى أنذرك أننى لن أرحل عن هذه المدينة حتى يظهر خبر استاذى ، فان اتى سالما سلمتم ، وان مات قتلتكم عن آخركم وأولكم « سقرديون »

وتركهم المقدم « سعدون » وقد ظهر الشر فى عينيه ، وبان الغضب عليه .. وراح الى خيامه ورجاله ..

والتفت الملك « أفراح » الى « سقرديون » وقال له :

ـ ماذا تقول الآن يا حكيم الزمان ، لقد أتى « سعدون » هنا بتدبيرك .. وغاب « وحش الفلاة » بنصيحتك ..

قال « سقرديون » :

ـ سأريك « يا أفراح » ماذا أفعل ..

***

استدعى « سقرديون » عبدا من عبيده ، واسلمه رسالة الى اخيه « سقرديوس » حكيم الملك « سيف أرعد » ، وقص فى الرسالة

حكاية « وحش الفلاة » منذ البداية الى أن ارسله ليأتى بكتاب النيل وكيف حط « سعدون » على مدينة الدور يهدد بالويل والثبور .. وذكر أخاه أن « وحش الفلا » له شامة خضراء ، وأن « شامة » بنت الملك « أفراح » لها شامة أخرى ، وبأن اجتماع الشامتين يعنى نهاية عبادة النجوم وانتهاء حكم الأحباش ، وأغرى « سقرديوس » أن يزين للملك « سيف أرعد » حســـن « شامة » وجمـــالها ، وأن يغريه بزواجها ..

وحمل العبد الرسالة الى الحكيم « سقرديوس » الذى قرأهـــا وفهم معناها ، وقام فى الحال الى ديوان الملك « سيف أرعد » فقبل الأرض بين يديه واستأذن فى الكلام .. وأذن له الملك « سيف أرعد » فمضى يحكى له حكاية « وحش الفلاة » ويقص خبرها ، وأنهى حديثه قائلا :

ـ وانى يا ملك لأنصح لك بحق زحل فى علاه أن تتزوج « شامة » فليس مثلها بين النساء حسنا وجمالا .. فان عاد هذا الغلام ورأى أن مثلك هو الذى تزوجها لم يجد أمامه الا الحسرة والكمد ، وقد أخبرنى أخى أن « شامة » على خدها شامة ، وأن الغلام على خده مثلها ، وقد اجمع الحكماء على أن فى اجتماع الشـــامتين خراب لملك الحبشة ونهاية لعبادة النجوم ..

وأعجب هذا الحديث الملك « سيف أرعد » ، وأطمعته أوصـــافه « سقرديوس » فى الملكة « شامة » .. فأمر باحضـــار هدية عظيمة من العقود والجواهر وملابس الحـــرير والخيـــول المطهمة والجوارى والنوق ، ثم استدعى حاجبه الجبار « دربال » مناطح البغال ـ وهو من أقوى الفرسان وأشهر المقاتلين ـ وقال له :

ـ لقد جعلتك نائبى ، لتخطب لى بنت الملك « أفراح » .. فعندما تصل اليه سلمه هذه الهدية ، واخبره أننى سأرفع عنه الخراج سبع سنين كمهر لابنته .. فان تمنع واغتر ، فقـــاتله وهاته لى موثقـــا بالحبال والحديد ، وان تدخل العبد « ســـعدون » فاقض عليه هو وعبيده وخلصنا من غروره وشروره ..

وانتخب له ألف فارس شديد يســـيرون تحت قيـــادته ، وكلهم مزودون بالعتاد والعدة .. وأمره أن يشرف على اعدادهم واختيار كل ما يلزم رحلته .. فانصرف « دربال » مناطح البغال يعد للأمر عدته ، بينما التفت « سقرديوس » للملك « سيف أرعد » وقال :

ـ الآن يطمئن زحل فى علاه الى أن حامى دينه يعمل على نصرته ،

ولا يبخل على تأييد دينه ورفعته ..

وكان « دربال » من أقوى من ركب على فـــرس فى كل بـــلاد الحبشة ، وكان وهو صبى يصارع البغال ويغلبهم .. وسـمع به الملك «سيف أرعد» فأرسل فى طلبه ، وقد توسم فيه القوة والبأس ، ودربه على ركوب الخيل وحمل السلاح الى أن أصبح فارسا لا يشق له غبار .. فجعله من حجابه يكل اليه أصعب المهام وأخطرها ..

وعند ما انتهى مناطح البغال من اعداد رجاله ، وتزويدهم بالعدة والعتاد ، سار على رأسهم الى قصر الملك « سيف أرعد » الذى خرج اليهم وأمر بضم الهدية الى صـــفوفهم ، والتفت الى مناطح البغال يعيد عليه وصيته ، فقال « دربال » مناطح البغال :

ـ اننى يا مولاى قد فهمت ما تـــريد .. فاما القبول واما أن أسوقهم مقيدين بالحديد ..

وخرج « سقرديوس » اللعين يبرطم بكلام لا يبين ، ويبارك الحملة ويدعو لهم بالتوفيق ..

***

بلغت أخبار الهدية والجيش المصاحب لها أسماع الملك « أفراح » .. فخرج من مدينته ومعه رجال حاشيته وأولهم الحكيم «سقرديون» يلقون مناطح البغال ويرحبون به .. ثم صحب الملك «أفراح» حاجب الملك « سيف ارعد » الى داخل الديوان ، وانزله فى أعلى مكان ، وأمر باقامة الولائم وتقديم أفخر الطعام وأحسن الشراب ..

ولما استقر المقام ب « دربال » مناطح البغال قدم كتـــاب الملك « سيف أرعد » للملك « أفراح » فسلمه هذا للحكيم ســـــقرديون ليقرأه وسط الديوان .. وفتح الحكيم « ســـقرديون » الكتاب ، وقرأ فيه :

ـ أعلم أيها الملك « إفراح » أننى قد اخترتك من بين الملوك لتكون صهرى ، وقد رأيت أن يكون مهر زوجتى رفع الخراج عن مدينتك سبع سنوات كاملة .. وقد كلفت حاجبى مناطح البغال أن يكون نائبى فى انهاء الموضوع ..

وهمس الملك « أفراح » للحكيم « سقرديون » :

ـ لم يكن ينقصنا الا هذا .. أخبرنى يا حكيم كيف التدبير فى هذا الامر .. ؟ !

قال « سقرديون » :

ـ لابد أن تقبل هذا العرض يا ملك « أفراح » .. انه تشريف لك وتكريم ..

ـ وان عاد « وحش الفلاة » ماذا نقول له وقد وعدناه بالزواج من « شامة » ؟

ـ « وحش الفلاة » مات وانقضى ! .. وان عاد نخبره أن ملك الاحباش قد تزوجها ، فان أراد استرجاعها فليأخذها منه ان استطاع ..

وضحك الحكيم « سقرديون » وأخذ يرحب بمناطح البغال ، ويملأ له كأس الخمر بيده ، ويبدى سروره من تشريف فارس كبير مثله وسعادته برؤيته .. وبينما هم فى ضحك وسرور اذ بجلبة تملأ الديوان ، واذ بالحراس يهرعون فى فزع .. وقبل أن يسأل الملك « أفراح » عن سبب هذه الضجة اذ بالمقدم « سعدون » يقتحم الديوان على رأس رجاله الثمانين ، وقد ظهر الشر فى عينيه ولاح الغضب عليه .. فهب الملك « أفراح » واقفا ووقف « سقرديون » ، ووقف لوقوف الملك كل الرجال .. الا أن مناطح البغال أدخل السكر فى قلبه الغرور ، فلم يتحرك من مكانه ، ولم يقم لتحيته ..

فالتفت المقدم « سعدون » الى الملك « أفراح » وقال له :

ـ من هذا الكلب الذى لم يقم لتحيتى .. ؟ !

فرد عليه مناطح البغال ، وهو يضع الكأس الذى فى يده ، ويعتدل فى جلسته :

ـ اعلم يا هذا اننى حاجب الملك « سيف أرعد » وقد أرسلنى الى هذه المدينة لأخطب له « شامة » بنت الملك « أفراح » .. فالزم أدبك ولا ترفع صوتك ..

ـ تقول أنك جئت تخطب زوجة استاذى « وحش الفلاة » .. والله ان لم تقم من هذا المكان لسقيت سنان سيفى من دمك أنت ومن أرسلك يا كلب الرجال .. !

فغضب مناطح البغال ، وازاح بيده ما أمامه من طعام وشراب ، وهب واقفا كالبعير الهائج ، وجذب حسامه وهجم على المقدم « سعدون » .. فجرد « سعدون » حسامه وأسرع الى لقائه وهو كالليث الغاضب .. وتقابل السيفان فى صليل يصم الآذان

وأخذ الاثنان يصولان ويجولان ، وهما يحطمان كل ما يقع تحت اقدامهما من أثاث ، والجنود قد تراجعت ترقب القتال .. وكان « سعدون » قد اشتد به الغضب وملأه الغيظ من خيانة « أفراح »

وغدره ، فأراد أن ينتهى بسرعة من غريمه ليفرغ للانتقام من الملك وحكيمه .. فدار حول غريمه دورات وأشعره بالانهزام ، ومناطح البغال يتعقبه حتى حانت الفرصة لـ « سعدون » فطعنه طعنة نافذة دخلت فى صدره ونفذت من ظهره ، فسقط مضرجا بدمائه وقد هاج الرجال وماج الحجاب وتصايح الحاضرون .. وصاح الحكيم بالملك « أفراح » :

ــ يا ويلك يا ملك « أفراح » اذا علم الملك « سيف أرعد » أن حاجبه قد قتل فى ديوانك .. قم وامسك بـ « سعدون » واقبض عليه ، وأرسله الى الملك « سيف أرعد » فى دية حاجبه ورسوله ..

فجرد الملك «أفراح» حسامه وصاح برجاله وفرسانه .. وحمل الجميع على « سعدون » الذى أمر رجاله بامتشاق الحسام والدفاع عن أنفسهم والهجوم على أعدائهم

ودارت رحى الحرب الضروس ، وطارت من فوق الاعناق رءوس، والمقدم « سعدون » يضرب الفرسان العبوس ، وهو يمزق أعداءه ويفرق مهاجميه ، حتى استطاع أن يشق مع رجاله طريقهم الى خارج القصر والمدينة ..

***

حاصر « سعدون » المدينة من الخارج ، وأمسك على من بها الطريق .. وكان الملك « أفراح » يرسل فرق الفرسان ، فيعيدها مهزومة مدحورة الى أن طال الامر .. فذهب الحكيم « سقرديون » الى الملك « أفراح » وحذره من غضب الملك « سيف أرعد » وأغراه بالهجوم بكل عسكره على « سعدون » لافنائه .. فجمع الملك « أفراح » عسكره وأعد فرسانه ، وخرج بجميع جيوشه يلقى « سعدون » ورجاله ..

ووقف « سعدون » ورجاله الثمانون يلقون فى شجاعة وصبر جيوش الملك « أفراح » .. وكان رجال « سعدون » مثله قد تمرسوا على الاهوال ، وخبروا الموت فى كل صورة وحال ، فخاضوا المعركة فى بأس واصرار وشجاعة تضرب بها الامثال .. الى أن أقبل الظلام ، فتنادى العسكر بالانفصال ، فعاد « سعدون » الى خيمته وقد اختلط الدم على درعه بالعرق ، وقال لرجاله :

ــ ما عليكم من ترك القتال بأس .. من أراد منكم أن يذهب الى حاله فليترك الخيام فى الليل ..

وتصايح الرجال من حوله ، وهم يقولون :

ــ نحن معك على الخير والشر ، وليس فينا جبان يخاف الموت ..

فسر خاطره واستراح باله ، وأمرهم ان يقيموا الحراس ، ويأخذوا قسطهم من الراحة ليواجهوا القتال فى صباح اليوم التالى وهم على اســـتعداد ..

وأتى الصباح فصف المقدم « سعدون » جنوده ، واستعد لملاقاة الاعداء .. واذ بجنود الملك « أفراح » يهجمون كالسـيل العـارم فتلقاهم سعدون ورجاله فى استبسال وحمية وصاح سعدون وهجم وتبعه رجاله يضربون بالسيوف الهامات والرءوس .. ونفذ سعدون ورجاله وسط جنود الملك « أفراح » الى ان اصبحوا فى الخـلاء ، فصاح سعدون ودار بفرسه ثم أكب برأسه على سرجه وهمز جواده بقدمه وعاد يهجم على جيوش الملك أفراح الذين أذهلتهم المفاجأة ، واصبحوا لا يعرفون من أين يأتيهم الاعداء .. واحس الملك أفراح ان سعدون يحارب حرب اليائس فطلب من سقرديون أن يأمر رجال منـاطح البغال ليدخلوا المعـركة .. وسرعان ماذهب سقرديون اليهـم وطلب منهم أن يأخذوا بثأر رئيسهم وحاجب ملكهم ..

فنزلوا الى المعركة وقد استراحوا وزال عنهم تعب السـفر .. واشتد على «سعدون» الامر ، وتساقط رجاله من حوله وهو يضرب ويضرب .. وأخذ يحس فى نفسه التقصير ويشعر أن الكلال قد حل بجسده وساعديه .. وصاح الملك « أفراح » :

ــ ويلكم ، ما هؤلاء الا حفنة من الاوغاد ، وانتم فوارس أشـداء ، اهجموا عليهم وخذوا بثأركم منهم ..

واخذ « سعدون » ورجاله يحاربون حرب الموت ، وقد عقـدوا العزم على أن يموتوا فى أماكنهم ولا يهـربوا أمام أعدائهم وأن كانوا اكثر فى العدد والعدة .. وتلفت « سعدون » حوله وقد اشتد كربه، واذ به يسمع صوتا يدوى من بعيد .. واذ بغبرة تثور وفارس من تحتها يطير به فرسه على عجل ، وهو متجه اليه يصيح فيه :

ــ لا بأس عليك يا فارس الفرسان ..

وسرعان ما اقترب الفارس ، فاذ به قد جذب على وجهه اللثام وعيناه تلمعان كأنهما عينا الصقر ، وهو يضرب بحسامه فى رجـال الملك « أفراح » وفرسان « دربال » .. وما تصيب ضربته فارسـا الا جندلته .. فصاح « سعدون » برجاله وقد انتعش فيـه الامل ، وعاد اليه عزمه واشتدت قوته ، وانضم الى جوار هذا الفـارس البطل الذى اخذ يصول بين الرجال كأنه الذئب وسط الأغنام ..

فلما اقترب « سعدون » منه بجواده ، قال له الفارس الغريب :
ــ أخبرني أيها الفارس المهيب ، على أى شيء تدور هذه المعركة الطاحنه البائسة .. ؟ !
فقال له «سعدون» وهو يرفع صوته فوق ضجة المعركة :
ــ من تكون أنت أيها الفارس النبيل ؟
فضرب الفارس برمحه جنديا كان يرفع سيفه من خلف «سعدون» وقال له :
ــ ألا تعرفني يامقدم « سعدون » أنا صديقك « وحش الفلاة » ..
وأزاح « سعدون » فارسين من طريقه ، وتراجع بجواده ليصد ضربة نافذة ، وقال وهو يغوص بسيفه فى قلب احد اعدائه :
ــ ساعدنى على هؤلاء الكلاب فليس هذا وقت الكلام ..
وما ان سمع الملك « سيف » هذا الكلام حتى صرخ فى الرجال صرخة مرعبة ومضى يضرب بحسامه فيقطع الرءوس ، ويشير بخاتمه فتطير الجماجم من على الاجساد دون أن يمسها حسام .. وتراجع الرجال من أمامه ، وقد أخذهم الخوف ، وهو يصيح فيهم :
ــ أنا فارس الاقطار والدمن ومبيد أهل الشر والفسق ، أنا الملك التبعى الحميرى « سيف بن ذى يزن » ..
فلما سمع الملك « أفراح » هذا الصوت التفت الى الحكيم « سقرديون » وقال له :
ــ أما تسمع هذا الصوت ؟ .. كأنه صوت « وحش الفلاة » ..
فقال « سقرديون » :
ــ ما هذا يا ملك « أفراح » .. ان « وحش الفلاة » مات وراح ..
فما أتم كلامه حتى أقبلت عليهم العساكر والجنود ، وهى تصيح من هول ما رأت ، وتحكى عن حرب الملك « سيف » وخاتمه الذى يبيد الفرسان دون حسام ، وكيف أنه ان استمر الحال على هذا المنوال هلك الجيش بأجمعه ، وقالوا له :
ــ ووالله ايها الملك ما أبادنا الا الفارس النبيل « وحش الفلا » الذى سافر الى مدينة قيمر طالبا كتاب النيل ..
فما ان سمع الملك « أفراح » هذا الكلام حتى أمر عساكره بالكف عن القتال ، وسار بفرسه الى حيث وقف « سعدون » ورجاله .. فرأى وسطهم فارسا قد ملأت الدماء دروعه وسيفه ، ووجهه ينير

باشراق ، فعرف فيه « وحش الفلاة » فنزل من فوق جواده وأراد أن يقبل قدم الملك « سيف » فى الركاب .. فترجل الملك « سيف » وعانقه وقبله وقال له :

ـ يا ملك « أفراح » .. ما ذنب المقدم « سعدون » لتحاربه ..؟

فقال « أفراح » :

ـ لقد قتل مناطح البغال حاجب الملك « سيف أرعد » حين جاء يطلب خطبة الملكة « شامة » ..

ـ والله انه لنعم الصاحب والرفيق ..

ـ وأنا منذ اليوم سأكون له نعم الصديق ..

ونادى الملك « أفراح » باقامة الزينات وتقديم الطعام والشراب واعلان الافراح بعودة « وحش الفلاة » ومعه حلوان « شامة » ..

***

وبينما كان « وحش الفلاة » يقص على الملك « أفراح » قصته وقد استقر به المقام فى أعز مكان من ديوان الملك والى يمينه المقدم « سعدون » ، كان « سقرديون » ينفخ فى نار حقده وغيظه ، ويهمس لنفسه :

ـ لقد راح وهو « وحش الفلاة » وعاد واسمه « سيف » ، وما هو الا السيف الموعود بالقضاء على ملك الاحباش وانهاء عبادة النجوم .. وحق زحل لابد من احكام التدبير ، وسنرى ماذا يقول الملك « سيف أرعد » عندما يعلم ما حل بحاجبه ، وكيف طارت منه خطيبته ..

***

وظلت المدينة فى أفراح وسعود .. والملك « سيف » يحكى ل «سعدون» والملك «أفراح» قصة مغامرته فى مدينة قمرون ، وكيف سجن فى الجب ، وكيف عرف اسمه ، وحصوله على القلنسوة والخاتم .. الى أن اوشك الصباح على هزيمة الليل فقام كل منهم الى مرقده وقد امتلأ قلب « سعدون » فرحا بعودة أستاذه وفارسه ، وامتلأ قلب الملك « سيف » بأعذب الأحلام حول زواجه من أميرة أحلامه وعروس أيامه الملكة « شامة » بنت الملك « أفراح » ..

القسم الثانى

الأم والابن



الفصل الرابع عشر

الأم والابن

اقترب الحاجب من الملك « سيف أرعد » وقال بصوت هامس :
ـ الجند يا مولاى بالباب يستأذنون فى المثول بين أيديكم ..
وقطب « سيف أرعد » مابين حاجبيه ، وهو يسأل :
ـ أى جند ؟..
وعاد الحاجب يقول هامسا محاذرا :
ـ جند مناطح البغال .. ومعهم رسالة من الحكيم « سقرديون » حكيم الملك أفراح ..
وقفز الملك من مجلسه ، وشرار الغضب يلمع فى عينيه ، وصاح :
ـ يأتون هكذا بلا أبواق ، ولا دق كاسات ، ولا صيحات انتصار .. وأين مناطح البغال ؟..
وصمت كل من فى الديوان ، ووقف الحكيم « سقرديوس » وهو يقول :
ـ مولاى ائذن لهم بالدخول ، لعل فى خطاب أخى « سقرديون » الجواب ..

وجلس الملك « سيف أرعد » وهو يتمالك نفسه بصعوبة ، وجلس لجلوسه الناس .. ثم دخل الجند يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى ، وقد ملأهم من عار الهزيمة هوان ملموس .. وقدموا بين أيديهم رسالة « سقرديون » ، وتناولها الحكيم « سقرديوس » منهم ومضى يقرأها على الملك ، والملك ينصت وغضبه يتزايد ، فقد كان الحكيم « سقرديون » يقص فى رسالته ما حدث لـ « مناطح البغال » على يد « سعدون » الزنجى ، وما حدث لجنده وجند الملك « أفراح » على يد « وحش الفلاة » الذى غادر مدينة الحديد ليأتى بحلوان « شامة » واتى واسمه « سيف بن ذى يزن » ومعه الحلوان كتاب النيل ..

وما أتم « سقرديوس » قراءة الرسالة حتى دخل الحاجب الى الديوان وهو يقول :

ـ مولاى ، بالباب وزير من وزراء المدينة الحمراء يريد المثول بين يديك ..

أمر الملك « سيف أرعد » جنود مناطح البغال أن ينصرفوا ، ثم اشار بيده للحاجب ليأذن لوزير المدينـــة الحمراء بالدخول ، بينما طوى « سقرديوس » الرسالة وسلمها للوزير « بحر قفقان الريف » وزير الملك « سيف أرعد » للاحتفاظ بها ..

وقبل وزير مدينة الحمراء الارض بين يدى الملك « سيف أرعد » وقال :

ـ انى مستجير بك يا ملك من شر « قمرية » الباغية ..

فالتفت اليه الملك « سيف أرعد » وقال :

ـ ماذا حدث من « قمرية » ؟

ـ انت تعلم يا مولاى انها انجبت آبنا من ملكنا « ذى يزن » اسمه « سيف » ، وقد أرتنا اياه بعد ولادته ، ومن يومها ونحن لا نراه .. وقد مرت عشرون عاما وهى تسومنا الخسف والذل ، وتنهب أموالنا ، وتكون جيشا من العبيد والغلمان يضربون أهل المدينة ويحكمون فى وجهائها وسراتها .. وكلما طلبنا منها أن ترينا ملكنا « سيف » وابن ملكنا « ذى يزن » رفضت بحجة أو بأخرى ، حتى لنخشى أن يكون قد أصابه مكروه ، وتنفرد هى بالحكم فينا بمثل ما تحكمنا به الآن من ظلم وعدوان ..

فألتفت الملك الى الحكيم « سقرديوس » وقال له :

ـ لقد أرسلت « قمرية » الى « ذى يزن » هدية ودسيسة .. وها هى تحكم الآن المدينة الحمراء منذ عشرين عاما ولا تورد الخـراج ، فلابد أن نطلب منها المال المتجمع عندها كله .. فان فعلت فلا بأس ، وان لم تفعل فلنا حديث آخر ..

وكان الوزير « بحر قفقان الريف » يسمع الحديث ساكتا ، فلما انتهى الملك من كلامه قال له :

ـ يا ملك الزمان ، هذه « قمرية » قد طمعت فيك ، وكبرت نفسها عليك .. فان رفضت ارسال الخراج وارسلت لها جندا ربما كسرتهم بما حشدت من جند وعبيد ، فتنال بذلك من هيبتك وتنقص من قدرك ، وكفى ما حدث من الملك « أفراح » الذى اتحد هو و « سـعدون » الزنجى وذلك الغلام « وحش الفلاة » وقتلوا حاجبك مناطح البغال..

فقال الحكيم « سقرديوس » :

ـ لابد أن يقتل « أفراح » و « سعدون » ، والغـــلام المســمى

ب « وحش الفلاة » صاحب الشامة والذى تقول الكتب أنه يقضى على ملك الاحباش ..

فقال الوزير « بحر قفقان الريف » :

ـ هذا رجم بالغيب لا يعلمه الا زحل .. والغلام ذنبه ليس أعظم من ذنب « أفراح » و « سعدون » ولسنا نستطيع ان نحارب الملك « أفراح » والملكة « قمرية » فى وقت واحد ..

فقال الملك « سيف أرعد » :

ـ وبماذا تشير يا وزير « بحر قفقان الريف » ..؟

فقال الوزير :

ـ أرى يا مولاى أن ترسل للملك « أفراح » بالامان والعفو ، ثم تأمره بالهجوم على « قمرية » هو و « سعدون » الزنجى و « وحش الفلاة » لتأديبها ، وكذلك أن ترسل للملكة « قمرية » وتأمرها بالاستعداد لحربهم .. فكل من هلك من الفريقين استرحنا منه ومن شره ، والمنتصر منهما ستضعف شوكته وتقل قوته ويسهل القضاء عليه ..

فأعجب هذا الاقتراح الملك « سيف أرعد » .. وأمر باحضار الهدايا فى الحال وارسالها الى الملك « أفراح » مع رسالة بالصفح عن ذنبه فى قتل «مناطح البغال» ، والامر له بأن يتأهب هو و «سعدون» الزنجى و « وحش الفلاة » للهجوم على مدينة الملكة « قمرية » واهلاك عساكرها وهدم قلاعها وحصونها ..



الفصل الخامس عشر

مفاجأة !

سلم حاجب الملك « سيف أرعد » الرسالة والهدية الى الملك « أفراح » .. فلما قرأ الملك « أفراح » الرسالة فرح لخلاصه من غضب « سيف أرعد » ، واطلع عليها « سقرديون » و « سعدون » و « وحش الفلاة » .. فقال « سقرديون » :

ــ أرى ايها الملك « أفراح » أن تحشد جيشك كله فى خدمة الملك « سيف أرعد » وأن تأخذ معك « سعدون » و « وحش الفلاة » كما طلب ، ثم تسير اليه قبل المسير الى الملكة « قمرية » ليعلم طاعتك ويغفر ذلتك ..

فقال الملك « أفراح » :

ــ أما جيشى فأنا أملك أمره ، ومن الغد سأحشده للهجوم على « قمرية » .. وأما « سعدون » وابنى « وحش الفلاة » فالأمر فى المسير يرجع لهما ..

فقال «وحش الفلاة » :

ــ بل نحن نسير معك ، فليس من يقعد وانت خارج للحرب والجلاد ..

فقال الملك « أفراح » :

ــ اذن فلنعد أنفسنا من الصباح ، وسنسير أول الامر الى الملك « سيف أرعد » حتى يعلم صادق اخلاصنا له ، ونأخذ منه الاذن بالهجوم على « قمرية » ..

***

أمر الملك « سيف أرعد » حجابه أن يستقبلوا جيش الملك «أفراح» من خارج المدينة ، ويصحبوهم الى الديوان .. فلما وصل الملك « أفراح » أجلسه الملك « سيف أرعد » فى أعز مكان ، واجلس

« سعدون » و « وحش الفلاة » الى جواره ، وأمر بالطعام والمدام .. وهدأ بال الملك « أفراح » واستقرت نفسه ، وعلم أن الملك « سيف أرعد » قد صفا له ، ونسى قتل حاجبه « مناطح البغال » واستمرت الجلسة والمنادمة فترة طويلة ، والملك « سيف ارعد » يتـــأمل فى « وحش الفلاة » ثم قال له :

ـ أتعلم يا فتى الى أين تسير أنت والملك « أفراح » و « سعدون » الزنجى ؟

فقال « وحش الفلاة » :

ـ نسير يا مولاى الى الملكة « قمرية »

فابتسم « سيف أرعد » وهو يقول :

ـ وهل تقدرون على هزيمتها ودك مدينتها ..؟

فقال « وحش الفلاة » :

ـ لك على يا ملك الزمان فتح مدينة الحمراء واهلاك أهلها وقتل ملكتها ..

فقال « سيف أرعد » :

ـ هكذا يكون الكلام وسنرى منذ الغد فعالكم .. فعند الصباح تسيرون الى مدينة الحمراء ..

وقال « سقرديون » لـ « سقرديوس » همسا :

ـ لماذا لم تعمل على قتل هذا الغلام ذى الشامة ..؟

فهمس « سقرديوس » :

ـ ان لم تقتله « قمرية » فسيقتله « سيف أرعد » ! ..

***

وفى الصباح ســـار جيش الملك « أفراح » وعلى رأســـه « وحش الفلاة » و « سعدون » الزنجى والملك « أفراح » وهم لابسون الحديد، متقلدون بالسيوف والرماح ، والارض ترتج تحت سنابك خيولهم ، والناس يتعجبون من جمال وحش الفلاة وفروسيته البادية ، وقوته الظاهرة .. الى أن وصلوا الى مدينـــة الحمراء آخر بلاد اليمن ، فوقفوا أمام أسوارها العالية المحصنة ، وامر الملك « أفراح » بضرب الحصار على المدينة ، بينما التفت « سعدون » الى « وحش الفلاة » وقال له :

ـ هيا بنا الى الملك « أفراح » لنكتب لها رسالة نرسل بها الرعب فى قلبها ونتحداها للقتال ..

وسار الفارسان الصديقان الى خيمة الملك « أفراح » التى أقيمت

وسط خيام الجنود ، واخبراه بما اســـفر عليه عزمهما .. فأمر بالحاجب ليكتب الرسالة ، وأملاه الملك رسالة الى « قمرية » يقول لها فيها :

« أما بعد ، فاعلمي ان الملك « سيف ارعد » غضبان اعليك لانه يعلم ما فعلت بأهل الحمراء من ظلم وطغيـــان ، كما أنه يريد منك تقديم الخراج على اموالك واموال المدينـــة منذ وفاة الملك « ذى يزن » صاحب المدينة الى اليوم .. فان جئت طائعة مختارة ، ودفعت كل الاموال المطلوبة نجوت أنت وبلادك ، والا فسنهدم مدينتك فوق رأسك هدما ، وندك اسوارك والحصون دكا .. »

وسلم الملك « أفراح » الرسالة الى الحاجب ، وأمره ان يحملها الى الملكة « قمرية » وأن يأتى برد الجواب ..

وحين وصل الحاجب الى أسوار المدينة صـــاح على الحراس ، ففتحوا له الباب وقادوه الى الملكة « قمرية » التى أخذت منه الخطاب وقرأته وأعادته اليه وهى تقول :

ـ عد الى صاحبك معززا مكرما ، وقل له نحن لا نهدد بقتـــال ولا نخاف من الاهوال ..!

وعاد الحاجب الى معسكر الملك « أفراح » وقصد الى خيمة الملك حيث كان الملك « أفراح » يجلس مع « سعدون » و « وحش الفلاة » فقال له :

ـ ماعندك من رد الخطاب ..؟!

فقبل الحاجب الارض ، وقال :

ـ انها يا مولاى تقول انها لاتهدد بقتال ولا تخاف من الاهوال ..

فقال « وحش الفلاة » :

ـ الغد موعدنا اذن .. وسأريها فى الميدان ما يجعلها تندم على يوم ولادتها ..

وقام الملك « أفراح » يطلب النوم ، فانصرف «سعدون» و «وحش الفلاة » وقصد كل الى خيمته ..

***

وما كاد المجلس يستقر ب « وحش الفلاة » فى خيمته حتى دخل الخادم عليه قائلا :

ـ يقف بباب الخيمة رجل جليل القدر يريد المثول بين يديك ..

فقال له « وحش الفلاة » :

ـ أما ترى اننى متعب من جهد هذا النهار فى أعداد العســـكر

وترتيب أمر معركة الغد ؟ .. أخبره أن يأتي في الصباح ..
فخرج الخادم ، ولكنه ما لبث أن عاد يقول :
ـ يا سيدى هذا الذى بالباب يقول انه الملكة « قمرية » ..
فقال له « سيف » :
ـ على بها .. ادخلها ..
وعاد الخادم ومعه الملكة « قمرية » التى قبلت الارض وسلمت ، فلما رد « وحش الفلاة » سلامها ، قالت له :
ـ لقد سألت عن امر جيشكم هذا ، فعلمت أنك قائده الحقيقى ، وان الملك « أفراح » والمقدم « سعدون » لا يأتمرون الا بأمرك ، كما علمت انك فارس الفرسان ، ماهر فى الحرب والصدام ، ولهذا جئت اليك لنحقن دماء الجنود ..
فقال لها الملك « سيف » :
ـ وماذا تريدين ..؟
قالت الملكة « قمرية » بصوت متكسر ناعم :
ـ أريد ان تصارعنى واصارعك ، وكل من قهر صاحبه يحكم فيه بما يرى ..
وجعلت « قمرية » تخلع ثيابها قطعة قطعة ، فتظهر مفاتن جسدها، وهى تتأود وتتثنى واثقة من سحر جمالها ، وروعة حسنها .. وقد عزمت على أن تقهره بسلاح الجسد وفتنة الحسن .. الى أن وقفت أمامه فى غلالة رقيقة شفافة لا تستر شيئا من جسدها العارى الجميل ، وقالت له فى صوت متكسر :
ـ والآن أيها الفارس الجميل دونك والصراع ..
فقال « وحش الفلاة » وهو يتلعثم فى حديثه :
ـ معاذ الله ان اصارعك وانت عريانة البدن ..
فضحكت « قمرية » فى مجون ، وهمست بصوت كله اغراء وفتنة :
ـ هل تجبن ايها الفارس الجميل عن مصارعة امرأة ..؟!
فقال « وحش الفلاة » وقد احمر وجهه :
ـ اننى لا اصارع النساء ..!
فعادت « قمرية » تضحك متأودة وتقول :
ـ اتحسب انك تقوى على ، انظر ذراعى وقوته ..!
ومضت تفرد ذراعها البض امامه وهى تتأود ، ثم تهمس :
ـ انظر ساقى وفتوته ..
وينحسر الثوب الشفاف عن ساقها المرمرية .. ويجف حلق « وحش

الفلاة » وتندلع فى رأسه نار ، وينسى نفسه ، ويمضي يخلع ثيابه وهو يأكلها بعينيه ، وما أن خلع ملابسه حتى وقف امامها عاريا وقال :

ـ دونك اذن والصراع ..!

فأقبلت عليه وقد احسست بالنار التى اوقدتها فى صدره ، وعرفت انه اصبح طوع بنانها وملك اشارتها .. ولكنها ما كادت تقترب منـــه حتى وقفت ذاهلة ، وكأنما لدغها ثعبان وقالت :

ـ ما هذا الذى فى رقبتك ، ومن اين حصلت عليه ..؟

ووقف « وحش الفلاة » مذهولا من تحولها المفاجىء ، ولمس بيده العقد الجوهر فى رقبته وهو يقول :

ـ ان هذا العقد كان فى رقبتى منذ ولادتى ولا أعلم من وضعه ، ولكن ابى الملك « أفراح » أمرنى الا اخلعه ابدا .. !

فهتفت « قمرية » :

ـ ليس الملك « أفراح » بأبيك ، بل ان أباك زوجى الملك «ذو يزن»، وانت ابنى « سيف » وفى خدك العلامة ، هذه الشامة ..

وقال « سيف » كالمسلوب :

ـ أمى .. أنت أمى .. كيف هذا ؟ .

فمضت « قمرية » تحكى له قصة قدومها على أبيه « ذى يزن » وكيف احبها وجعلهــــا الملكة ثم كيف مات وهو يوصى به ، ثم كيف ولدته وسجد له أهل المملكة جميعا .. ثم قالت مخادعة :

ـ وقد وضعت لك هـــذا العقد فى رقبتك وهو عقدى ، وانتابنى الجنون فرميتك فى الخلاء كما زين لى شيطان الجنون .. ومن يومها وانا حزينة نادمة ، أنا على استعداد ان أدفع عمرى كى استرجعك . وها هو زحل قد أراد بى الخير فردك لى فارسا ملء الأعين .. !

وكان « وحش الفلاة » يقف ذاهلا ، وهى تقبله بين عينيه ، وتبكى متظاهرة بالفرح وهى تقول :

ـ نعم ، أنت ابنى وقرة عينى « سيف بن ذى يزن » .. وهـــذه المدينة الحمراء مدينتك بناها ابوك ، وأنت وحدك حاكمها ومالكها ، ولابد من عودتك الى ملكك وتوليك كل أمرك ..

فقال « سيف بن ذى يزن » :

ـ هذا كلام اغرب من الخيـــال ، واعجب من المحال .. وكيف تريدين منى أن اصدقه ..؟!

فقالت « قمرية » وهى ترتدى ثيابها :

ـ ان حجاب ابيك موجودون وهم يعرفون فيك علامات ، وانت


ووقفت أمامه فى غلالة
رقيقة شفافة لا تستر شيئا
من جسدها العارى

تشبه اباك كل الشبه ـ وسأتركك الان لاحضرهم لك يتحققون منك ويتعرفون عليك .. ألا يرضيك هذا الدليل ..؟!

قال « سيف » :

ـ بل يرضيني ، فاذهبي واحضريهم ..

وعادت « قمرية » تقبله وتبكي وتظهر الفرح ، ثم غادرته لتحضر الحجاب الشهود .. بينما وقف « سيف » حائرا وسط خيمته ، وقد تبلبلت أفكاره واضطرب ذهنه .. وتذكر كيف كاد يهم بأمه فخجل وبكى ، ومضى يدور حائرا ، وقد تنازعت نفسه عوامل الخجل والحنق والحنان الى لقاء أمه التي لم يرها قط ، ومضى يسائل نفسه :

ـ أحقا لست ابن الملك « أفراح » وليست « الغزالة » أمي ؟.. ان ما تقوله « قمرية » ينطبق على ما قاله الشيخ « عبد السلام » .. نعم أنا « سيف بن ذي يزن » وهذه أمي .. أمي التي رمتني كما تقول لأموت ، ولكنها أمي .. وكدت أهم بها ، ما أبشع هذا ..!

ومضي يبكي حائرا قلقا دون ان يجرؤ على النوم في انتظار عودة « قمرية » بشهودها الحجاب الذين يعرفون فيه العلامة ليتحقق من صدق كلامها وصحة دعواها ..



الفصل السادس عشر

مؤامرة !

ما ان وصلت الملكة « قمرية » الى قصرها حتى أمرت باستدعاء الحجاب الاربعة الذين كانوا يخدمون الملك « ذا يزن » .. وظلت تسير فى ديوانها لا يستقر لها قرار حتى أعلن الحجاب حضورهم ، وانهم ينتظرون فى القاعة خارج الديوان ..

وكان هؤلاء الاربعة هم حجاب « ذى يزن » الخواص ، يكل اليهم مهام الامور ، ويعتمد عليهم فى جليل الاعمال ، لما كان يعلم من محبتهم له واخلاصهم لملكه ، وكانوا قد انعزلوا بأنفسهم عن قصر « قمرية » منذ احسوا أنها تخفى ابن ملكهم وصاحب الحق الشرعى فى حكمهم ؛ وبعد أن ترك الوزير « يثرب » المدينة يأسا منه فى عدل « قمرية » وسافر الى مدينته التى بناها فى عهد الملك « ذى يزن » مدينة يثرب .. وقد ادهشتهم الدعوة المفاجئة فى الليل ، الا أنهم كانوا يعلمون ان المدينة محاصرة فظنوا أن « قمرية » تريد ان تستعين بهم فى حث اهل المدينة على الوقوف معها ومع جنودها المرتزقة .. الا ان « قمرية » لم تتح لهم الفرصة ليتشاوروا فيما يفعلون ، بل أمرت بادخالهم فى الحال ..

ودخل الحجاب الاربعة تسبقهم ملامح الهيبة والوقار ، وحيوا « قمرية » فى أدب ، ثم وقفوا فى انتظار ان تبدأ الكلام ..

وجلست « قمرية » وسط الديوان ، وأمرتهم بالجلوس كلا فى مكانه المعتاد أيام الملك « ذى يزن » ونظر الحجاب الى بعضهم فى دهشة ، ولكنهم جلسوا ممتثلين ولحديثها منتظرين ..

وقالت « قمرية » :

ــ لقد طلبتم منى كثيرا أن أريكم ابنى الملك « سيف » .. ولكنى لم أكن أريه لكم لاننى لم أكن أعرف مكانه .. فقد اختطفته جارية ــ بعد مرور اربعين يوما على ولادته ــ ولم أعثر له على أثر ..

فقال اكبرهم سنا :

ـ ولماذا يا ملكة لم تخبرينا لنبحث عنه فى كل مكان ..؟!

فقالت « قمرية » :

ـ لقد ظللت ابحث عنه طوال هذه السنين ، وقد عثرت عليه أخيرا ولهذا جمعتكم ..

فهبوا جميعا واقفين ، وقد انطلقت فى أساريرهم معالم البشر وأمارات السرور ، وقال أكبرهم سنا :

ـ واين هو يا مولاتى ؟.. أرينا اياه لنقبل الارض بين يديه ونسلم الامانة اليه .. فما نحن الا بعض عبيد ابيه ، وما هذه المدينة وما فيها الا ملك يمينه !

فقالت « قمرية » :

ـ ولهذا الامر طلبتكم ، فقد عزمت علي اعادة ملك أبيـــه له ، وتسليمه امواله ومدينته ، ولكنه لا يصدق كلامى .. فأريد منكم أن تأتوا الآن لنذهب اليه ولتتعرفوا عليه ..

فقال احدهم :

ـ تعرفه بالشامة على خده ..!

وقال الآخر :

ـ وبالشبه يجمع بينه وبين أبيه ..!

فقالت « قمرية » :

ـ اذن هيا بنا اليه ..

فقال اكبرهم سنا :

ـ ولكنك لم تخبرينا يا ملكة أين هو .. أين الملك « سيف بن ذى يزن » ..

قالت « قمرية » وهى تتأهب للقيام من مجلسها :

ـ انه قائد الجيش الذى يحاصر المدينة ..

***

كان « سيف » ما يزال يسير فى خيمته ، والقلق والحيرة تعصفان بقلبه ونفسه ، والفرحة والخجل يملآن صدره ، حين اخبره الحارس أن « قمرية » ومعها اربعة من الفرســان قد طلبوا مقابلته ، فأمرم بادخالهم ، واستعد للقائهم ..

وحين دخلت « قمرية » الى الخيمة ، اسرعت الى الملك « سيف » تقبله وتحتضنه وهى تشهق بالبكاء ، وتقول وسط الدموع الزائفة :

ـ ولدى وقرة عيني .. أهذا أنت ، أراك أمامى حقيقة وألمسك

بيدى لمس اليقين ٠٠ ما أسعد ليلتي ، لقد رد الله غربتك ٠٠ كم تعذبت كم بكيت ، كم شقيت لبعدك يا ولدى الحبيب !

فرد الملك « سيف » ذراعيها وهو يقول :

ـ أين يا ملكة ما وعدتني به من دليل ٠٠ ؟ !

فأشارت « قمرية » بيدها الى الحجاب الاربعة وقالت :

ـ ها هم حجاب أبيك العظيم « ذى يزن » ملك اليمن ، وأخلص رجاله وأعز أحبائه ٠٠

فالتفت اليهم ، فما كادوا يتحققون من شكله ، حتى خروا أمامه ساجدين وللارض مقبلين ، وقال أكبرهم سنا :

ـ مرحبا بك يا مولاى ، كأنى بالملك « ذى يزن » بلحمه وشحمه وهو فى أوج شبابه

وقال احدهم :

ـ والشامة على خدك نعرفها منذ ولادتك ..

وقال الثانى :

ـ وملامح الشهامة التبعية تبدو فى عينيك ، وتلوح فى وجهك ٠٠

وقال الثالث :

ـ أنت يا مولاى بلا جدال الملك « سيف بن ذى يزن » التبعى اليمانى ٠٠

وعاد أكبرهم سنا يقول :

ـ وهذه المدينة مدينتك والملكة « قمرية » والدتك ٠٠ فقم وأدخل المدينة بعسكرك وجندك فلن يقف أمامك أحد ، واحكم فينا بعدل التبابعة الصناديد ٠٠

وبلغ ذهول الملك « سيف » مبلغه ، وعادت « قمرية » تعانقه وتقول له :

ـ يا ولدى وفلذة كبدى ، لقد أراد زحل أن يرد غيبتك ويعيدك لامك ومدينتك فقم الى بلدك وتول أمور ملكك ٠٠

فقال الملك « سيف » :

ـ سبحان الذى يفعل ما يريد ، ويسبب لكل شىء سببا ٠٠

وهب الحجاب يستأذنون فى الذهاب الى المدينة لاعلان الخبر العظيم الى أهلها ، ففي يوم واحد يعود لهم ملكهم ويرفع الحصار عن مدينتهم، فقالت « قمرية » :

ـ انتظرونى بالخارج فسأعود معكم لاخبر الناس بنفسى ٠٠

وخرج الحجاب الاربعة ينتظرون عند باب الخيمة ، وهم يهنئون أنفسهم ويتبادلون عبارات الفرح والاستبشار ، بينما التفتت « قمرية »

الى الملك « سيف » وقالت له :

ـ يابنى اننى نادمة على ما فعلت معك ، وأريدك أن تنسى وسوسة الشيطان لى .. وأنا أمك قبل كل شيء ، فما فعلت ما فعلت بك الا خوفا من وزراء أبيك أن يبعدونى عن المدينة وأنا فى نظرهم غريبة .. ثم لقد وسوس لى الشيطان وأنسانى نفسى ، ومن يومها يابنى وأنا نادمة باكية ..

وأخذت « قمرية » تبكى بين يديه ، وهو قد أحس بالحنان فى قلبه لها ، ونسى من رقته وسلامة طويته ما فعلته به ، وقال لها :

ـ لقد سامحتك فى كل ما فعلت معى ، وان كان مرادك ملك أبى فخذيه فأنا فى غنى عنه

فقالت « قمرية » :

ـ وكيف هذا يابنى ، ان كل مرادى أن أكون الى جوارك وأن تصفح عنى ويصفو قلبك لى ، وان أردت أن تقتلنى على ما فعلت بك .. فها أنا ذا أمامك افعل بى ما تشاء ..

فصفا قلب « سيف » واطمأن لها ، وقال :

ـ بل مكانك فى قلبى ، فأنت أمى ..

وأحست « قمرية » أنها خدعته وتمكنت حيلتها منه ، فقالت له :

ـ سأذهب الآن ياولدى الى المدينة لابلغ أهلها بخبر العثور عليك ، ثم اعود لاقودك الى حيث مال ابيك حتى تعطى وتبذل لكل الناس فى هذا اليوم ليصبح لهم يوم عيد !

فقال « سيف » :

ـ وأين مال أبى .. ؟

قالت « قمرية » :

ـ لقد خبأته فى مكان أمين ، وسأحكى لك قصته حين أعود لاقودك اليـــه ..

***

صحبت الملكة « قمرية » الحجاب الاربعة فى طريقهم الى مدينـــة الحمراء ، وكان الحجاب يتبادلون الاحاديث فى فرح وبهجة .. بينما كانت « قمرية » تركب فرسها فى صمت وتفكير .. وما قاربوا سور المدينة حتى قالت الملكة :

ـ اخفوا وجوهكم عن الحرس ، فكما خرجنا خفية ينبغى الا ندخل الا خفية ..

فقال أكبر الحجاب سنا :

ـ ولكن لماذا الخفية ونحن نحمل للمدينة أحسن الاخبار .. ؟!

فردت عليه « قمرية » قائلة :

ـ أنسيت أننا نعادى الآن الملك « سيف ارعد » ولو عـرف بأن « سيف بن ذى يزن » قد ظهر أنه ابنى ، وأننا اتفقنا وسلمنا له المدينة لخاف على خراجه وأرسل يحاربنا ويقاتلنا ، ولسنا مهما قويت شوكتنا من أنداده ..

فقال الحاجب :

ـ لقد أصبت الحقيقة أيتها الملكة الرشيدة ، فلنخف أذن وجوهنا حتى لا يعلم أحد بخروجنا .. !

وابتسمت « قمرية » لنفسها فى الظلام وهم يخفون وجوههم وراء اللثام ، وصاحت هى بالحراس ليفتحوا لها الباب ، ثم سارت أمامهم الى قصرها ، وأدخلتهم ايوانها .. وما ان استقر بهـم المجلس فى الايوان حتى قال أكبر الحجاب :

ـ والآن يا ملكة الا ننصرف لنزف البشرى الى الناس ؟

فقالت « قمرية » فى خبث ودهاء :

ـ لن تنصرفوا قبل أن تأخذوا الحلوان على هذه البشرى !

ودخلت « قمرية » فاستدعت جاريتها ، وأمرتها ان تحضر لهـم الشراب والطعام وان تدس السم المهلك فيه ، ثم عادت اليهم وهى تقـول :

ـ ان أقل ما أستطيع ان اعبر به عن فرحتى بعودة ابنى سالما ، ان تأكلوا وتشربوا على مائدتى .. !

وبلغ السرور بالحجاب منتهاه ، وصفت نفوسهم ، وانطلقوا يتبادلون الحديث فى صفاء وود مع الملكة الى أن دخلت الجارية بالطعام والشراب .. فأتوا عليه ، واقبلوا يأكلون ويشربون وهم عن غدر الدهـر غافلون ، وما أن انتهى طعامهم حتى رقدوا على جنوبهم مصروعين .. فصفقت « قمرية » بيديها والشر يلمع فى عينيها .. وحين أقبلت الجارية قالت لها :

ـ أعينينى على رميهم فى الجب دون أن يرانا احد فى القصر ولك عندى بدرة مال ..

وتعاونت « قمرية » مع الجارية فى نقل الحجاب واحدا أثر الاخـر ورميهم فى الجب .. وما أن استقر جسد الاخير فى قاع الجب حتى أستلت « قمرية » خنجرها وغرسته فى ظهر الجارية ، وهى تـكتم فمها بيدها تحبس صرخة الموت وحشرجة الفناء .. ثم قذفت بهـا

وراءهم ، وعادت تبتسم لنفسها وهي تقول :

ــ والآن جاء دورك يا ابن « ذي يزن » ، أتريد ملكي ومالي ؟ .. والله ان لم أهلكك لملكت مدينتي ، وجعلتني أعيش عمري حـــزينة متحسرة .. !

ثم ركبت فرسها وتقلدت بعدة جلادها ، وعادت تغـــادر المدينة قاصدة خيمة الملك « سيف » ..

***

قال الملك « سيف » :

ــ لقد اسرعت فى العودة يا ملكة ..

فقالت « قمرية » :

ــ بل قل يا أمي ، فأنت فلذة كبدي وقطعة من قلبي . أنا ماعدت سريعا الا لاسير بك حيث مال ابيك ، حتى الزم انا يابني مكاني فى الحريم مع جواري ..

فقال الملك « سيف » :

ــ وأين هو هذا المال ؟

قالت « قمرية » :

ــ لقد دفنته فى أرض بعيدة .. وهو خمســون صــــندوقا من الذهب الأحمر ، وبعد أن دفنتـــه وضعت للرجال الاربعين الذين اشـــتركوا فى دفنه السـم فى الطعام ، فما أكلوا حتى هلكوا عن آخرهم .. ؟ !

فقال الملك « سيف » :

ــ وكيف يا ملكة تقتلين الرجال دون جريرة ولا اثم .. ؟ !

فقالت « قمرية » :

ــ ما فعلت هذا الا خوفا من ملك الحبشة ، يعرف بخبر المـال منهم فيطمع فيه ، ويغزو مدينتي ويقتلني .. أما وقد ظهرت أنت ، فالمال الآن مالك .. فهيا اركب معي أدلك عليه .. حتى تغدق على أهل المدينة فى الصباح فيظل ذكرك على لسانهم ، وتظل سيرتك فى قلوبهم ..

قال الملك « سيف » :

ــ اذن هيا بنا قبل أن يطلع الصباح ..

فقالت الملكة « قمرية » :

ــ لى شرط واحد يا بني ..

قال « سيف » :

ـ وما هو ؟ ..

قالت « قمرية » :

ـ ألا يعلم أحـــد بخروجنـــا .. فنحن لا نأمن من جواسيس الملك « سيف أرعد » ..

فقال لها الملك « سيف » وهو يتقلد بحسامه استعدادا للخروج معها :

ـ لن يعلم أحد بخروجنا ..

***

أخذ الجوادان يشقان طريقهــما وســط الظلام فى حــذر ، حتى غادرت « قمرية » ومعها الملك « سيف » معسكر الملك « أفراح » دون أن يلحظهما أحد من الجند أو الحراس ..

وحين أوغل الملك « سيف » و « قمرية » فى السير فى الصحراء ، خشى « سيف » أن يفقدا الطريق ويتوها فى الصحراء فقال :

ـ لقد طال بنا السير ولم نصل .. فهل المكان قريب ؟

فقالت « قمرية » :

ـ لقد أوشكنا يا بنى أن نصل ..

ثم اخذت تسليه بالكلام ، وتلهيه بزخارف الحديث ، حتى وصلا الى شجرة ضخمة مهولة .. وقد أوشك الصباح أن يطلع واخذ نور الفجر يظهر فى الكون ، وقالت « قمرية » :

ـ لننزل هنا يا بنى لنستريح فقد أمضنى التعب ، وأنا على كل حال امرأة لا جلد لى على طول السير ومشقة الرحلة ..

فأطاعها الملك « سيف » ووقف بفرسه عند الشجرة حيث وجد غدير ماء ، وترجل عن جواده واخذ يشرب من الماء وقد انحنى على حافة الغدير . اما « قمرية » فتقدمت منه على حذر ، وقد جردت حسامها من غمده ، ونزع الله الرحمة من قلبها ، وضربته بالسيف على رأسه فانشقت رأسه .. وأراد أن يتحول اليها فضربته ضربة ثانية وقعت بين أكتافه فقطعت فى لحمه وشقت عظمه .. ثم ضربته الضربة الثالثة ، فصاح الملك « سيف » صــيحة كالرعد ، الا أنها عاجلته بالضربة الرابعة على صــــدره فوقع على الأرض غائبــا عن الصواب فاقدا للوعى مضرجا بدمائه .. فعادت تضربه بسيفها وقد ملأ الشر قلبها ، فجــــاءت الضربة على ظهره وانكسر الحسام من يدها ..

ووقفت « قمرية » ترقبه وهو مضرج بدمائه ، غارق فى لجة من الدم الاحمر القانى ، وقد سكن جسده فظنت انه مات .. واعتدلت على حصانها وهى تبتسم كالشيطانة وتقول فى حقد :

ــ لقد أفلت منى مرة ، أما هذه المرة فقد ألحقتك بأبيك ..

واستدارت بحصانها متجهة الى المدينة ، وما وصلتها الا والشمس قد طلعت وملأت الدنيا بالنور ..

***

فتح الملك « سيف » عينيه على ألم فظيع يحس به فى كل جزء من جسده ، وحاول أن يحرك قدميه فلم يستطع ، وحاول أن يرفع ذراعه فلم يستطع .. فالتفت حوله ، فاذ بالأرض كلها غارقة فى بركة من دمائه .. فتأوه الملك سيف من الألم ، ورفع عينيه الى السماء يدعو الله الا يطيل عذابه ، وأن يسرع بموته أن كان قد كتب عليه الموت فى هذا المكان أو أن يمن عليه بوسيلة للشفاء .. وبينما هو فى تضرعه ودعواه ، اذ بطائرين قد اقبلا من البرارى المقفرة وحطا على غصن فى الشجرة التى يرقد تحتها .. وقالا معا فى صوت واحد وهما يستقران على الغصن :

ــ لا اله الا الله وحده لا شريك له وابراهيم نبيه ..

فانتبه الملك « سيف » وقد أخذه العجب من الطائرين العجيبين اللذين يتحدثان كالناس ، واذا بأحدهما يقول للآخر :

ــ أرأيت يا أخى ما فعلته هذه الملعونة « قمرية » بابنها وكيف ضربته بالسيف حتى أثخنته بالجراح .. ؟ !

فقال الطير الآخر :

ــ لا تعترض على حكم الله ، واعلم أن أمه « قمرية » تدبر له سبع مهالك ، أولها وهو طفل صغير حين رمته فى الصحراء فأرسل الله الغزالة أرضعته والجنية ربته والملك « أفراح » احتضنه ورباه ، والثانية هى هذه ، قادته الى هذا المكان ، وضربته بالسيف البتار حتى ظنت أنه مات فتركته فى بركة من دمه ..

***

وكان الملك « سيف » يسمع حديث الطائرين وهو يعجب فى نفسه ، كيف تتحادث الطيور حديث الآدميين ، وقد دخله شك كبير فى أنه يعرف الصوتين ، وأنه سمعهما من قبل ، وما لبث أن سمع الطائر الأول يقول :

ــ صدقت يا شيخ « جياد » وهذا فعل أهل الكفر والعناد ..

فقال الطائر الآخر :

ـ هنا يا شيخ « عبد السلام » دواؤه .. فورق هذه الشجرة لو مضغه بأسنانه ثم وضعه على الجرح لشفى بأمر الله القدير ..

وتذكر الملك « سيف » الصوتين .. كانا للشيخين « جياد » و « عبد السلام » وقد قابلهما فى رحلته الى مدينة قيمر وقام بدفنهما بعد أن ماتا ، فتعجب من قدرة الله ، وشكر للمولى أن حفظه ورعاه ، وأرسل له من يدله ويرشده ..

وحين التفت الملك « سيف » الى الشجرة كان الطائران قد غادرا الغصن ، وهبت ريح عاتية هزت الشجرة كلها هزا ، وتساقطت أوراقها من حوله بكثرة .. فأخذ الملك «سيف» من الأوراق ومضغها فى فمه ، ومضى يضعها على الجروح فتطيب فى الحال ويختفى أثرها ..

وجعل الملك « سيف » يداوى جراحه بورق الشجر واحدا اثر الآخر وهو يحمد الله ويشكره ، حتى أستطاع آن يتفقد المكان حوله واذ به يلمح فرسه يرعى الحشائش عن بعد .. اذ تركته « قمرية » خوفا من ان يعرف رجاله ان مكروها وقع به عندما يعثرون على الفرس دون الفارس .. فأسرع اليه ، وأصلح عدته ، ثم ركبه وسار يضرب فى الأرض وهو لا يعلم أين هو ولا الى أية وجهة يتجه ..

***

ومضى الملك « سيف » يسير وهو يقتات من نبات الأرض ويشرب من عيون الماء مدة ستين يوما حتى ضاق بالامر ، وتولاه اليأس ، وملأته الحيرة .. واذ به يرى جبلين عاليين ، أحدهما أبيض عن يمين ، والثانى أسمر عن يسار .. وبين الجبلين بحر متلاطم الأمواج، وكان سيره يؤدى به الى الجبل الاحمر ، فسار اليه ومضى يصعد عليه وقد لمح فى قمته بيتا من الحجر وفى وسطه عامود طوله عشرون ذراعا ، وكان كلما ارتفع فى صعوده ظهر البيت والعامود واشتد وضوحهما .. ونظر « سيف » الى الجبل الآخر فاذا على قمته قصر عجيب غريب ، وفى وسطه عامود كذلك الذى يتوسط البيت الحجرى .. فتعجب الملك « سيف » واندهش ، الا انه واصل صعوده حتى وصل الى ذلك البيت ووقف ببابه وهو يصيح :

ـ يا من تسكنون هذا البيت عليكم السلام ..

فسمع صوتا يرد عليه :

ـ أهلا وسهلا بالملك « سيف بن ذى يزن » ..

وبينما « سيف » فى دهشــــته فتح الباب ، وخرج منه شخص طويل القامة ، على وجهه آثار العبادة ، فقال له :

ــ كيف عرفت اسمى حتى قبل أن ترانى .. ؟

فرد عليه قائلا :

ــ ان لى عشرين عاما هنا أنتظرك حتى أساعدك فى قضاء حاجتك، ومن قبلى كان ينتظرك أبى ومن قبله جدى .. والآن ادخل لتستريح من عناء السفر وتأكل من الزاد ما يسد رمقك ..

وقاده الى داخل الدار حيث وجدها مفروشة أحسن الفرش ، وحيث وجد الطعام معدا ، فجلس اليه واقبل عليه اقبـــال الجائع الذى لم يأكل طعاما ستين يوما كاملة .. بينما كان رفيقه يحادثه أثناء الطعام ويقول له :

ــ لقد كان أبى وكيلا على هذه الذخائر التى هى باسمك فى هذا المكان ، وانا ورثت هذا التوكيل من بعده ..

فقال الملك « سيف » :

ــ ومن صاحب هذه الذخائر التى تتحدث عنها .. ؟

فرد عليه قائلا :

ــ انها ذخائر جدك الاعلى سام ابن نبى الله نوح عليه السلام ، وقد اوصى بها لك بعد مماته ..

فقال الملك « سيف » :

ــ وتريد أن تقول ان جدك عاصر الملك سام ..

فقال له :

ــ بل ورثها عن ابيه عن جده جيلا بعد جيل

فقال « سيف » وهو يأكل :

ــ وما اسمك بين الحكماء ؟

فقال الرجل :

ــ اسمى « اخميم الطالب » .. وبعد أن تستريح الليلة سأقودك فى الصباح الى الذخائر المرصودة باسمك باذن الله ..

***

وما أن أشرق الصباح حتى قاد « اخميم الطالب » الملك « سيف » الى العامود فى وسط البيت ، فرآه مليئا بكتابة غامضة كالطلاسم .. فالتفت الى « أخميم » وقال له :

ــ ماذا تريدنى أن أفعل أيها الحكيم ؟

فقال له « أخميم » :

ــ أنظر الى هذا العامود ان كنت تستطيع أن ترقاه ..

فقال « سيف » :

ـ هذا سهل فاني أرى درجات خارجة منه ، كما أرى حلقــات استطيع أن أعتمد عليها فى صعودى ..

فقال له « أخميم » :

ـ هذه أولى العلامات لان غيرك لا يرى هذه الدرجات والحلقــات فاصعد باسم الله .. وظل الملك « سيف » يصعد حتى وصل الى قمة العامود ، فقال له « أخميم الطالب » :

ـ ماذا ترى فى آخر العامود ؟

قال الملك « سيف » :

ـ ارى نقشا فى الحجر كأثر قدمين فى الرمال ..

فقال له « اخميم » :

ـ اذن ضع قدميك فوق الأثر ..

ففعل الملك « سيف » هذا ، واذ بقدميه تقعان فوق الأثر تماما ، فأخبر بهذا الحكيم « اخميم » الذى قال له :

ـ انظر أمامك ، ماذا ترى على الجبل الآخر ؟

قال « سيف » :

ـ أرى امامى عامودا كهذا العامود ، كما أرى عليه نقشـــا لقدمين كالنقش الذى أقف عليه ..

قال « أخميم » :

ـ اذن أقفز هذه المسافة

ـ وتحتى هذا البحر المتلاطم ٠٠ ؟ !

فقال « اخميم » :

ـ توكل على الله واقفز ، فما انشىء كل هذا الا من أجلك ٠٠

ونظر الملك « سيف » الى السماء ، واسلم امره الى خـــالقه ، ثم قفـــز بكـــل قوته .. واذ به يجـــد نفســـه واقفـــا فـــوق القدمين المنقوشـــين على أعلى العامود الآخر وأمامه القصر العجيب الغريب ، فحمد الله وشكره وآلتفت عن يمينه ، فاذا به يجد « اخميم الطالب » الى جواره كأنه قرينه ، فقال له :

ـ ماذا ترى يا « أخميم » ؟

فقال « أخميم الطالب » :

ـ ياولدى أنت الذى دلت اعليك العلوم والافلاك ، فانزل يا سيدى الى القصر واطرق بابه ، فاذا سمعت القائل يقول : من بالباب ؟ ٠٠ فأخبرهم باسمك وحسبك يفتحـــونه لك ، فادخل ولا تخف ..

والتفت الى يمينك تجد سريرا متاما ، فاقصد اليه وارفع الستائر عنه ، وقف الى يمينه ، وقل له : يا ملك انا الذى تجاوزت له عن ذخيرتك بعد انتقالك من دار الفناء الى دار البقاء ، فان سمحت نفسك فاعطنى ما وعدتنى من الذخيرة .. فيحرك يده الشمال ثم يده اليمين ، فانظر الى صدره تجد لوحا من الذهب الاحمر وله سلسلة من الفضة .. فاخرج السلسلة وفكها من رقبته ، وخذ اللوح وقل له : جزاك الله الجنة .. واخرج فى الحال ولا تلتفت الى اليمين أو اليسار ..

فنزل الملك « سيف » من فوق العامود ، وسار الى القصر ودخله ، فوجد ما أخبره به « اخميم » .. فأخذ اللوح من عنق الملك المسجى على السرير وعاد به الى « أخميم » الذى قال له :

ـ ضع اللوح هنا أمامى .. وعد ثانية الى القصر ، فستجد الى جوار السرير سيفا فى قرابه ، فقل للملك : يا ملك اسمح لى ان آخذ السيف واجاهد به فى سبيل الله ، فيحرك ذراعه ، فامض وخذه وتقلد به ، وعد فى الحال ، واياك ان تفعل خلاف هذا ، وحذار أن تجرد السيف من غمده ..

فمضى الملك « سيف » الى داخل القصر كما أمره « اخميم الطالب » وأخذ السيف كما علمه ، الا ان شكل الغمد لم يعجبه ، فقد بدا وكأنه قد أكله الصدأ ، فأراد ان يرمى بالغمد ، واذ بالصدأ الذى عليه يقع عندما حاول تجريد السيف ، وامتلأ المكان بصرخات كالرعد فأسرع يعيد « السيف » الى غمده وقد تكشف له الصدأ عن ذهب خالص فرح به ، وسمع صوتا يقول :

ـ يا ملك « سيف » لاتجرد السيف هنا مرة أخرى ، واخرج قبل ان يصيبك مكروه ..

فاتجه « سيف » الى باب الخروج ، ولكنه قبل أن يخرج عاد ينظر الى السرير وقد ملأه الفضول وتملكته غريزة حب الاستطلاع ، وتردد لحظات ثم ما لبث أن غلبه الضعف الانسانى فعاد الى السرير وقد قرر أن يرى وجه هذا الملك الذى يحرك يده وهو ميت ، ليعرف هل هو حقا ميت أم حى .. ؟

واقترب الملك « سيف » من السرير ورفع اللثام الاول عن وجه الملك ، ثم أخذ يرفع اللثام الثانى ويده ترتجف ، ومد يده الى اللثام الثالث فامتلأ قلبه بالرعب وحاول ان يرفعه لينظر فى وجه سام بن

نوح ، فاذا به يحس بالسرير يرتج ، والقصر كله يهتز ، وسمع صوتا يصرخ فيــه :

ــ يا قليل الادب ، هل بلغت بك الجرأة أن تكشف عن وجوه اولاد الانبياء بعد ما أولوك الجميل والاحسان !

وأحس الملك « سيف » أن الارض قد خســفت به ، وأنه يطير فى الهواءتتقاذفله أيد جبارة لايراها ، وقد امتلأ المكان بالصرخات والزعقات واهتزت جنبات القصر كله كأن شيئا يهزه ويهدمه .. وسرعان ما رأى نفسه مرميا خارج باب القصر ، وراح عن الوعى ..

وعندما فتح الملك « سيف » عينيه ، رأى « اخميم الطالب » جالسا عند رأسه يرقبه ، فلما رآه « أخميم الطالب » يحرك رأســه ، قال له :

ــ ألم احذرك يا ملك ؟ ! والآن هذا فراق بيننا ..

فقال « سيف » :

ــ كيف تتركنى يا حكيم هنا ، وأنا لا أعرف كيف أعود .. !

فقــال « اخميم » :

ــ هذا قدرك تتحمله وحدك ، ولولا انك تتقلد بهذا السيف لكنت مت من زمن ..

واعتدل « سيف » فى مكانه ليرد على « اخميم » فلم يجده ، فقام يبحث عنه ولكن « اخميم » كان قد اختفى ، وأحس « سيف » بالوحــدة والوحشة ، وجعل يتجول حول العامود وهو لا يستطيع الاقتراب من القصر ، وعندما يئس من وجود منفذ تحول الى العامود وصعد عليه ، وامتلأ قلبه بالرعب واحس باقدامه ترتجف من تحته وايقن انه لن يستطيع الوثوب ، وان وثب فلن يصل الى العــامود الآخر كالمرة الاولى ، فنزل يائسا وارتمى الى جوار العــامود وهو يبكى كمــدا وقهرا ..

وظل فى مكانه الى أن ادركه الليل ، فنام نوما متقطعا قلقا وصوت البحر من حوله يتعــالى .. وصورة ما حــدث له فى القصر تبدو لعينيه ، وتلك الاصوات والصرخات العالية تصك اذنيه .. وما أن طلع الصباح حتى قام يتجول من جديد ، ودار حول القصر ليجد لنفسه مخرجا ، فاذا به يتأكد ان الجبل الذى يقف عليه تحيطه المياه من كل جانب وأن لا سبيل الى الهرب .. وعند الغروب كان التجول قد انهكه والجوع قد هد قواه ، فارتمى يبكى الى جوار العامود الى أن راح فى نوم

متقطع قلق ..

وعندما استيقظ فى الصباح كان الجوع قد اشتد به ، ومضى يجوب المكان بحثا عن أى شىء يؤكل فلم يجد • وعندما عاد الى جوار العامود تأكد أنه لو أن مكث فى مكانه مات جوعا ..

ولم يجد الملك « سيف » أمامه الا أن يخاطر بمحـــاولة القفز من العامود مؤملا أن يصل الى العامود الاخر ، فتحامل على نفسه وصعد الى اعلى العامود ووقف على القدمين المنحوتتين فى الصخر ، واسلم أمره الى الله ثم اغمض عينيه وقفز بكل قوته ..

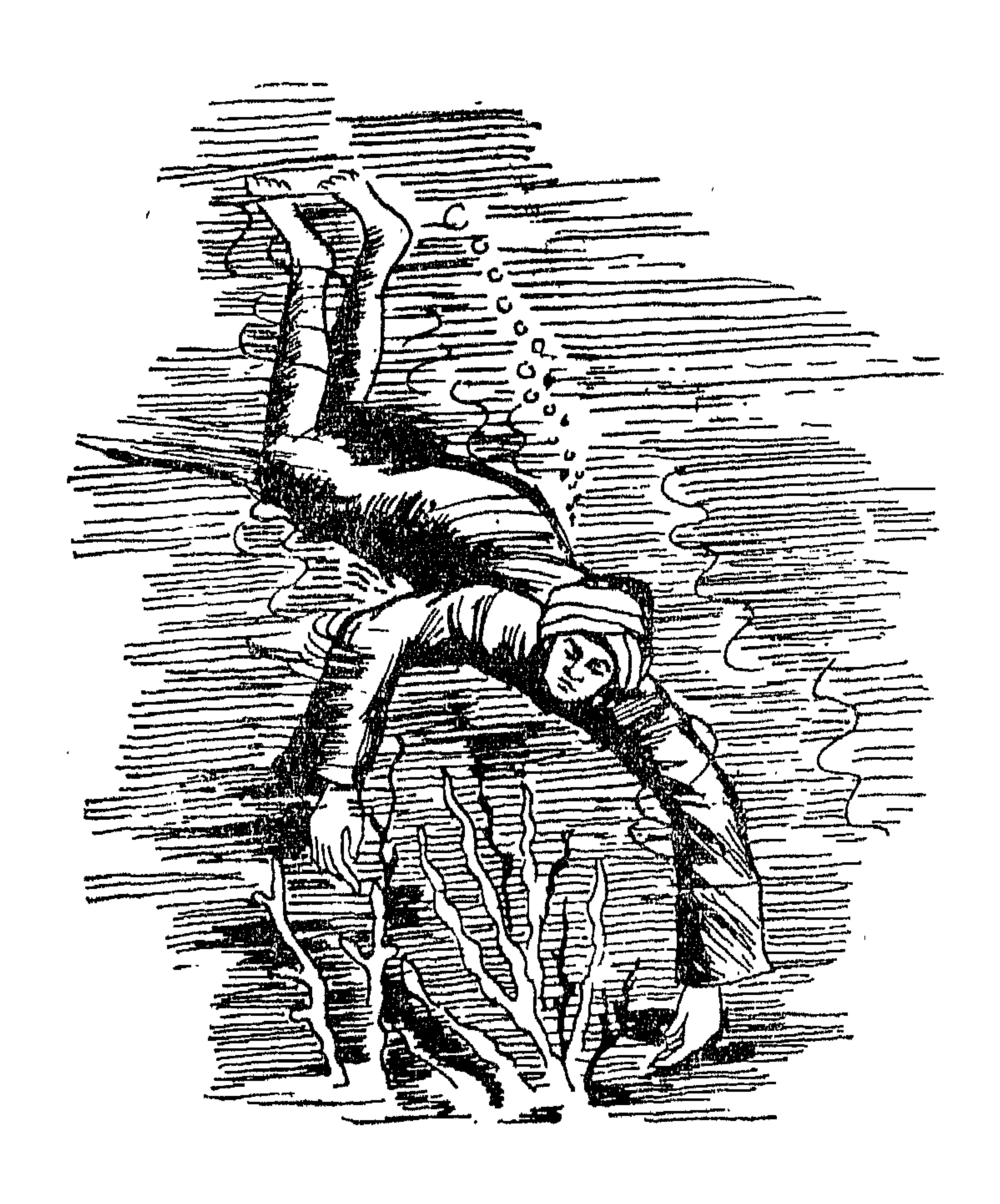
ولم يشعر الملك « سيف » الا وهو فى قلب الماء وقد احاطته الظلمة ومضى يغوص الى القاع ، فضرب الماء بقدمه بشدة فارتفع الى السطح، وحاول ان يعوم ولكن ملابسه كانت تعوقه ، فأخذ يتخفف منها الا من سيفه وقميصه وعمامته •• والماء المتلاطم يتقاذفه كالكرة العــــاجزة ذات اليمين وذات اليسار ، وهو يحاول ان يعوم مرة على ظهره ومرة على صدره والتيار يجرفه بشدة ..

ولمح الملك « سيف » وهو وسط الماء صخرة الجبل الاحمر ، فأخذ يتجه اليها •• واستجمع كل ما بقى من قوته وهو يشد من عزيمته ويضرب الماء بذراعيه فى عنف وقوة ، وأخذ يقترب من الصخرة تدريجيا، وكلما ازداد اقترابه ازدادت ضرباته قوة ، ومقاومته للامواج العنيفة شدة ، حتى اصبحت الصخرة امامه لا يفصله عنها الا مسافة قليلـــة •• وأحس فى نفسه العجز والقصور ، واحس أن قواه تخور ، فجمع ما تبقى من ارادته وقوته وضرب فى الماء ضربات متتالية فاذ به يلمس الحجر ، واشتد به الفرح وملأ قلبه الامل ، ولكنه ما كاد يمد يده الى الحجر ليمسك به ، حتى انزلقت يده على الحجر الاملس وأبعده الماء قليلا عنه .. فعاد يحاول من جديد وقد أشرف على اليأس ، فاذ بيده تلامس الحجر مرة ثانية وتنزلق عليه .. وأحس بالماء يجذبه بعيدا عن الحجر فعاد يستجمع ما تبقى لــــه من قوة ، وأخذ يضرب المـــاء ضربات اليأس حتى لمست يده الحجر مرة ثالثة ولكنها عادت تنزلق عليه ، وتهاوت نفسه وارتخت يداه واذ به يحس بنفسه كالقشــــة وسط الماء ، تعود به الامواج بعيدا عن الصخرة ..

وما كاد يفيق الى نفسه حتى وجد الماء يجذبه بشدة الى دوامة هائلة ، وحاول المقاومة ولكن الوقت كان قد فات ، واذ بالماء يلفـــه

ويطويه ثم يدفع به فى سرعة هائلة الى فوهة فتحة ضخمة فى وسط الجبل .. وحاول ان يبتعد عن الفوهة المظلمة السوداء ، ولكن الامواج ظلت تحمله حملا وتسير به حثيثا الى هذه الفوهة آلتى تمتص الماء فى هدير مخيف وصوت كالرعد القاصف . .

وماهى الا لحظات حتى أحس بنفسه يتخبط فى صـــخر املس ، والظلام يطبق عليه والفوهة السوداء تبتلعه مع ما تبتلع من ماء



الفصل السابع عشر

اللوح السحري

كان صوت الماء المندفع مخيفا ومرعبا ، وأحس الملك « سـيف » بنفسه ينزلق على الماء الى داخل نفق مظلم قاتم والمـاء يسرع بـه سراعا مذهلا .. وحاول أن يرفع يده الى أعلى فاصطدمت بسقف أملس لا يبعد عن رأسه الا بمسافة بسيطة ، فامتلأ قلبه خوفا من أن يسحقه التيار المندفع فى السقف القريب ، وظل يدفع بيديه فى الماء فى حذر وقد احس بالعجز الكامل عن المقاومة المجدية .. ورفع يده مرة ثانية فلمست أطراف أصابعه السقف الاملس ، وفهم أن الماء يبتعد تدريجيا عن السقف فاطمأنت نفسه الى أن النهاية المرعبة التى قدرها قد ابتعد خطرها ، واستسلم للتيار العنيف يسوقه معه فى ظلمة كاملة خلال هذا النفق وقد فقد الاحساس بالزمن ، لا يدرى أهو فى نهار أم فى ليل .. !

وكان الملك « سيف » يبذل جهده الاكبر فى أن تظل رأسه طافية فوق الماء حتى يستطيع أن يتنفس هذا الهواء الثقيل المشبع بالرطوبة والذى يملأ النفق ، الا أنه بعد فترة طويلة أحس بشىء يصـطدم برأسه فى عنف ، ولم يشعر الا وهو يغوص الى اعماق الماء ، وأخذ يضرب الماء بقدميه فاصطدم رأسه بشىء صلب . وسرعان ما كان يغوص مرة أخرى .. وعرف وهو يغوص مرة أخرى فى اعماق الماء أن سقف المكان قد عاد الى الاقتراب من سطح الماء مرة أخرى ، وتمثلت لناظريه فكرة الموت مضغوطا بين السقف والماء ، أو الموت غرقا ، وهو يحاول فى استماتة أن يعود الى السطح فى حذر حتى لا يضرب السقف رأسه تلك الضربات المؤلمة التى توشك أن تفقده رشـده فيضيع بلا أمل ..

ورفع يده فوق الماء الى أن لمست السقف ، ثم رفع رأسه فى حذر وملأ صدره من الهواء ، ثم لمحت عينـاه وهو يندفع مع تيـار المـاء

بصيصا من نور يبدو فى فتحة يتجه اليها الماء فاذ برأسه يصطدم مرة ثالثة بالسقف صدمة قوية وأحس بالدوار يملأ رأسه ، وحاول أن يقاوم وأن يظل على وعى بما يحدث له ولكن الماء ابتلعه فى جوفه ونفذ الى صدره ، وأخذ يخبط فى شدة بيديه الى أن غاب عن وعيه تماما ، وكان اخر ما أحس به أن الماء يضطرب فى اندفاع عنيف الى الامام ، وهو يمسك بقطعة من خشب لمستها يداه فى صراعهما مع المـــاء ...

***

قذف الماء بالملك «سيف» من الفوهة الاخرى للنفق . وطفا الى سطح الماء بفضل قطعة الخشب التى يمسك بها ، ثم دفعه ضغط الماء الى ناحية الشاطىء الملىء بالصخور والاشجار ، واشتبكت قطعة الخشـــب التى يمسك بها بفرع شجرة ضخمة فتعلق بها ، وظل الملك « سيف » فى غيبوبته وقد استماتت يداه على قطعة الخشب المشتبكة بفرع الشجرة والماء يدور من حوله ، ويسير فى تيار قوى يهز جسده هزا ..

***

وأفاق الملك « سيف » فرأى نصفه فى الماء ونصفه مشبوك بالشجرة عن طريق قطعة الخشب التى يمسك بها ، فزحف ببطء شديد حتى امسك الغصن بيده ، ثم جمع كل قواه ورفع نفسه تدريجيا وهـــو يترك الماء ويتحرك الى أعلى ، ويداه تتبادلان على الغصن حتى خرج جسده تماما من الماء ، وظل يرتفع الى أن وصل الى أصل غصن الشجرة فتمدد عليه وهو يحمد الله ويشكره وينظر الى الماء يجرى من تحته ولا يكاد يصدق بالخلاص .. ثم خلع ملابسه وعلقها فى غصن الشجرة واعرض جســـده للشمس الســـاطعة ، وسرعان ما جفت ملابسه وأحس بالدفء يملأ أعطافه ، فارتدى عمامته وقميصـــه ونزل من فوق الشجرة وقد بدأ يحس بالجوع . وتذكر أنه لم يأكل منذ أيام عديدة أى شيء ، فمضى يمشى واهنا ضعيفا وهو يؤمل أن يجد أثرا للعمار يلجأ اليه ويطلب فيه الامان والشبع ..

وما زال الملك « سيف » سائرا حتى قطع الـــوادى كله ، وما كاد يصل الى نهايته حتى لمح على البعد مدينة بيضاء تبدو وكأنها تناديه وتقدم له الامل فى الدفء والطعام والراحة ، فملأ قلبه الامل ، وعمرت نفسه بأعذب الاحلام ، وأسرع فى مشيه قاصدا باب المدينة ..

وما كاد الملك « سيف » يقترب من الباب المغلق وقد أوشك أن ينادى حارس الباب ليفتح له حتى سمع صوتا يقول :

ـــ افتحوا الباب ، واطلعوا أليه ، ولا تعودوا الا به ، فهو غريمنا جاءت به المياه الى أرضنا .. !

فدار الملك « سيف » على عقبيه وأسرع يجرى بكل قوته وقد ملأ الخوف قلبه من جديد ، وأحس أن سوء طالعه مازال يسير فى ركابه، الى أن وصل الى شجرة عالية فأسرع يرتقيها بسرعة وهو لا يحس بيديه ولا قدميه وهو يتسلقها .. وما أن استقر بين أغصانها حتى عاد ينظر فى اتجاه المدينة ، فاذ به يرى الباب مفتوحا وقد خـرج منه أربعمائة فارس متقلدين بالحديد ومتدرعين بالدروع وأمامهم فارس طويل يصيح فيهم قائلا :

ـ فتشوا عليه الوادى كله ، وسأنتظركم تحت هذه الشجرة ..

وأشار الفارس الى الشجرة التى جلس فوقها الملك « سيف » ، ثم قصد بحصانه اليها ، ونزل من فوق حصانه وجلس تحت الشجرة وحوله الحرس والغلمان .. ثم صفق بيديه طالبا الطعام ..

وكان الملك « سيف » يختفى خلف الأغصان ، وهو يرقب الحراس والفرسان يفتشون عليه فى كل أرجاء الوادى .. وتحته تماما جلس رئيسهم يأكل ، وتصاعدت رائحة الطعام الى أنفه فاشتد احساسه بالجوع ، وطلبت نفسه الطعام ، والطعام على مسافة قريبة منه وهو لايستطيع اليه وصولا .. !

وما ان انتهى قائد الجند من الطعام حتى استلقى تحت الشجرة ونام ، وحوله الحـراس والغلمان ، و « سيف » من شـدة جوعه واعيائه وخوفه لايستطيع النوم ، ولايسـتطيع الحركة ، ولايسـتطيع الراحة ..

وقبيل الفروب عاد الجنود من بحثهم ، وأفاق رئيسهم من نومه، وسألهم عن نتيجة مسعاهم فى العثور على بغيتهم ، فأخبروه بأنهم لم يروا غريمهم فى أى مكان ، فأمرهم بالراحة الى الصباح ، ثم أمر بطعام العشاء .. وما لبث الطعام أن أحضر ، وما لبثت الموائد أن مدت ، و « سيف » يرقب الطعام فى قلق ورغبة وخوف ، وأمعاؤه تضرب والجوع يشتد عليه .. وقد غدا يتمنى الموت نظير ان يحظى بكسرة من خبز جاف ..

وما لبث الجند أن أكلوا وأوقدوا النيران وأقاموا الحراس ، ثم هدأت الحركة ونام الجميع و «سيف» رابض فوق الشجرة لايستطيع أن يتحرك ولايسـتطيع أن ينام .. وظل فى قلق تراوده الأفكـار المزعجة ، ويضنيه التعب والجوع ، الى أن أدركه النـوم فراح فى سبات عميق الى الصباح ..

وأفاق الملك « سـيف » على جلبة تملأ الوادى ، وما كاد يفتح

عينيه حتى تذكر احداث امسه ، ونظر الى اسفل فرأى قائد الجند واقفا وقد أقبل اليه الجنود من كل جانب يعلنون اخفاقهم فى العثور على الغريم ، فأمرهم باعداد الطعام ، ثم استئناف البحث بعد تناول الفطور .. وتذكر « سيف » جوعه الشديد ، فما أن وضع الطعام وفاحت رائحته الذكية حتى سمع نفسه يصيح دون وعى :

ــ غريب يا قوم وجوعان .. !

وما كاد الجند يسمعون نداءه حتى هرعوا الى الشجرة ، واحس « سيف » بالندم والحسرة ، ولكن المحظور وقع .. ولابد من مواجهة ما يأتى به القدر .. وسمع أحدهم يقول له :

ــ انزل وسلم نفسك الينا ، والا قطعنا الشجرة من جذورها ثم نقطعك بسيوفنا ..

فقال « سيف » :

ــ لاحول ولا قوة الا بالله ، قفوا ياقوم مكانكم وأنا أنزل اليكم ..

وما أن نزل الملك « سيف » من فوق الشجرة حتى أحاط الجند به وساقوه الى قائدهم ، فجعل هذا ينظر فيه ويتأمل فى وجهه و« سيف » ساكت صابر ، ثم قال القائد :

ــ من أنت ؟ . . وكيف جئت الى هنا ؟ . .

فقال « سيف » :

ــ كيف تسألنى وأنا جوعان والزاد بين يديك موضوع ، اتركنى آكل اولا ثم اسأل ما تشاء ..

فضحك القائد وقال له :

ــ هذا الطعام بين يديك ، فكل ما شئت . .

فاندفع « سيف » الى الطعام يقبل عليه اقبال من كاد يموت من الجوع ، والقائد يرقبه صامتا ، وينظر الى فراغه من الطعام صابرا ..

وعندما انتهى الملك « سيف » من تناول الطعام حمد الله وشكر نعمته ، ثم استعد لملاقاة مصيره بثبات ورباطة جأش ، وقال لقائد الجند :

ــ والآن أيها الفارس أنا طوع امرك ، افعل بى ما تشاء ..

فقال القائد :

ــ أريد أن اسمع قصتك ..

فأراد الملك « سيف » أن يضلله عن نفسه ، فأنشأ يقول :

ــ أننى تاجر كنت فى مركب هاج عليها البحر فانكسرت ، وتعلقت بقطعة من خشب الى أن دفعنى الماء الى جزيرة ليس عليها احد ..

فظللت بها فترة أخاف على نفسي وحوش البر والبحر ، فطلعت الى شجرة فاذا بطير ضخم يجلس فوق الشجرة ، فجلست ارقبه الى أن اوشك على الطيران فأمسكت برجليه وتعلقت به ، فطار بى ، الا انه أحس بثقلى فجعل يهجم على بمنقاره المهول يريد ان يفترسنى ، فتركت رجليه متوكلا على الله ، فاذ بى فى البحر ثانية ، وظللت أعوم حتى وصلت الى هذه الجزيرة . .

وما أن انتهى الملك « سيف » من قصته الملفقة حتى أخذ قائد الجند يضحك ويقول :

ـ ما هذه الحكاية الطويلة .. أنا ما أظنك الا كاذبا . ولست احسب الا انك الغريب الذى يطلبه ابى ..

***

واستطاع الملك « سيف » أن يميز صوت القائد ، فاذا به صوت انثى لا صوت رجل .. فجعل ينظر اليها مندهشا ، وهى ترسل رسولا الى المدينة ليخبر اباها بالامر ، وتعلقت عيناه بباب المدينة وقد ازدادت دهشته واشتد ذهوله عندما رأى رجلا مهيبا يخرج من باب المدينة يسعى اليه ، وأسرعت الفتاة المتنكرة فى ثياب الفرسان اليه وقالت :

ـ هذا غريمنا يا أبى ..

فقاطعها الرجل قائلا :

ـ نعم ، يا ابنتى هذا هو الملك « سيف بن ذى يزن » .. سبحان من جاء به الى هذا المكان ..

فقال الملك « سيف » :

ـ ألست أنت « اخميم الطالب » .. ؟

قال « اخميم » ضاحكا :

ـ نعم أيها الملك ..

فاطمأنت نفس « سيف » وانشرح باله ، وأحس أن نهاية تعبه وعنائه قد دنت ، فقال له :

ـ الحمد لله أن وجدت أرضا أقف عليها ، وصديقا اتحدث اليه ، وطعاما اسد به رمقى ، فقد كفانى ما عانيت حتى الان ..

فقال « اخميم » :

ـ اذن هيا بنا الى المدينة على الرحب والسعة .. وحمدا لله على سلامتك .. أيها الملك ..

قال الملك « سيف » وقد استقر به المكان ، وأحس بالامان بعد طول خوف :

ـ أهكذا يا « اخميم » تفعل الاخوان ؟ .. تأكل معى الزاد ثم تخون الامانة .. اين اللوح الذى أخذته منى ؟

قال « اخميم » :

ـ انما أنت الذى تسببت فى شقائك بيديك حين كشفت عن وجه الملك « سام » ناسيا أننى نهيتك وحذرتك ، ولم أكن أستطيع لك شيئا .. فجئت الى هذا المكان ورتبت ابنتى ومعها الفرسان ليرقبوا قدومك الى هنا لتخبرنى بانتهاء شقائك وعذابك ..

فقال الملك « سيف » وقد أيقن أن « اخميم الطالب » لم يكذبه :

ـ لقد صدقتك أيها الصديق ، ولكن أين اللوح ؟

قال « اخميم » مبتسما :

ـ انه مع زوجتك أيها الملك ..

فصاح « سيف » مندهشا :

ـ زوجتى .. ؟!

فقال « اخميم » :

ـ نعم ، وستراها حالا ..

ثم التفت « اخميم » الى قائد الجند وقال :

ـ تعالى يا « جيزة » .. هات اللوح الذى معك ..

فكشف الفارس عن وجه كالبدر ، واذا هو فتاة جميلة ، أذهل جمالها الملك « سيف » عن نفسه ، ولم يفطن الى ما يدور حوله الا حين سمع « اخميم » يقول :

ـ هذا هو اللوح الذى أخرجته من عند الملك « سام » وسأريك فائدته ..

ثم دلك « اخميم » اللوح بين يديه ، واذ بصوت يصيح :

ـ لبيك يا حكيم الزمان ..

وظهر خادم اللوح فى المكان ، واستعاذ الملك « سيف » بالله من خلقته المهولة ، و « اخميم » يقول له :

ـ ما اسمك ؟

فقال الخادم :

ـ أنا « عيروض » ابن الملك الاحمر ، خادم هذا اللوح من عهد سيدى « سام بن نوح » ..

فقال « سيف » :

ـ أتعرفنى يا « عيروض » ؟

فالتفت الخادم اليه وقال :

ـ نعم ، أنت سيدى الملك « سيف » الذى رصد هذا اللوح باسمه من قديم الزمان ..

فقال « اخميم » :

ـ والان انصرف يا « عيروض » ؟

فانصرف الخادم فى الحال ، وتقدمت الملكة « جيزة » فأخذت اللوح من أبيها وهى تقول :

ـ سأحتفظ لضيفنا الملك « سيف » بهذا اللوح حتى يطلبه ..

فقال « اخميم » :

ـ والآن قم يا ملك « سيف » الى حجرتك لتستريح بعد العناء .. ونلتقى فى الصباح ..

***

حين وصلت الملكة « جيزة » الى حجرتها ، خلعت ملابس الفرسان، وعادت فى رداء النساء غادة ذات دلال وجمـال .. وكانت الملكة « جيزة » تحس فى نفسها شيئا غريبا منذ التقت بالملك « سيف » ، وأسرتها ملامح البطولة والفروسية تبين من وجهه .. ودلكت الملكة « جيزة » اللوح فظهر « عيروض » أمامها ، فقالت له :

ـ أخبرنى يا « عيروض » ، هل الملك « سيف » متزوج .. ؟

ـ الى الآن هو لم يتزوج ، ولكنه سيتزوج الملكة « شامة » بنت الملك « أفراح » ، كمـا يتزوج من « ناهد » بنت ملك الصين ، و « طامة » بنت الحكمية عاقلة ، كما يتزوجك أنت يا ملكة « جيزة » ، وكذلك « منية النفوس » ..

فاغتاظت « جيزه » وملكها الغضب وصاحت فى حنق :

ـ أأكون أنا واحـدة من نسائه ، وخادمة من خدامه ، اسـمع يا « عيروض » .. اذهب فاقتله .. !

فقال « عيروض » :

ـ وكيف لى أن أقتله وهو يحمل سيف « سام بن نوح » .. ؟!

فنظرت اليه « جيزة » فترة طويلة وهى صامتة ، ثم قالت :

ـ انصرف أنت يا « عيروض » .. وسأدبر أنا أمرى ..

وحين انصرف «عيروض» صفقت « جيزة » بيدها ، فدخلت اليهـا جاريتها فأمرتها أن تأمر نائب العبيد بالحضور اليها .. ولم يمض وقت طويل حتى أقبل عملاق أسود ، مفتول العضلات ، على وجهه ملامح الشر والقسوة .. وانحنى أمام الملكة « جيزة » ووقف ساكتا

ينتظر أوامرها .. فقالت له « جيزة » :

ــ أنت تعرف الغريم الذى ظللنا نبحث عنه يومين كاملين ، ثم عثرنا عليه فوق الشجرة ، وتركه أبى « اخميم » وقد كنت أوشكت على قتله ..

فأحنى العملاق رأسه وقد امتدت يده الى سيفه ، وقالت «جيزة » :

ــ انه نائم الآن فى خيمته وأريد منك أن تقضى عليه بضربة واحدة .. وعد لى بخبر مصرعه ..

وعاد العملاق ينحنى أمامها مرة أخرى ، ثم انصرف فى هدوء ، بينما استرخت « جيزة » فى مقعدها الطويل وهى تبتسم لنفسها ابتسامة الرضا والراحة ..

***

كان « اخميم الطالب » قد توجس خيفة من نظرات ابنته « جيزة » الى الملك « سيف » ولهذا أمر أحد أعوانه من الجان أن يلازم الملك « سيف » فى نومه والا يغفل عن حراسته ، فلما أقبل العملاق الى « سيف » وهو نائم ورفع حسامه يريد قتله ، أمسك الجنى بيده ورد الطعنة الى نحره فوقع مخضبا فى دمه دون أن يحس الملك « سيف » الذى كان التعب قد أخذ منه مأخذه فراح فى سبات عميق ..

***

وظلت الملكة « جيزة » تنتظر العبد ليعود لها بخبر مصرع الملك « سيف » .. فلما طال غيابه استبد بها القلق ، حتى اذا نفد صبرها صفقت بيديها تستدعى جاريتها ، فلما جاءت سألتها عن العبد وهل عاد ، وحين أبدت الجارية جهلها بأمره أمرتها بأن تستدعى عبدا آخر من عبيدها .. فلما جاء أخبرته بالمهمة التى أرسلت فيها قائد العبيد وقالت له :

ــ اذهب وتسلل الى حيث يرقد ذلك الغريب ، فان وجدت أمر صاحبك قد انكشف فعد سريعا ، وان وجدت الملك « سيف » نائما فاضربه بسيفك ، وعد لى بخبر ما فعلت ..

وحين انصرف العبد الى مهمته ، لم تستطع الملكة « جيزة » أن تهدأ وتستريح ، بل ظلت تذرع حجرتها فى قلق وصبر نافد ، فى انتظار عودته ..

***

كان ضوء القمر يغمر بنوره حجرة الملك « سيف » حين تسلل

العبد اليها ، فدهش حين رآه نائما لا يحس بما حــولــه ، وجرد حسامه وقد منى نفسه بقتل غريم سيدته والحصول على ثقتها .. ولكنه ما كاد يتقدم حتى اصطدمت قدمه بشيء في الارض ، وما كاد ينظر الى جثة زميله وقد قطعت رقبته حتى ارتجفت يده واهتزت .. ولكنه سرعان ما تمالك نفسه وعاد يتقدم من جديد نحو الملك «سيف» وقد صمم على الانتقام لزميله ، وما كاد يرفع سيفه ليهوى به على الملك « سيف » حتى رد الجنى طعنته الى نحره ، وسقط مضرجا بدمه يلفظ آخر انفاسه الى جوار زميله ..

وأسرع الجنى الى «اخميم الطالب» يخبره بأمر العبدين المقتولين ، ويسأله عما يفعل بجثتيهما ..

وكان الملك « سيف » قد ايقظته ضجة سقوط الجسم الثانى ، ففتح عينيه ونظر حوله فلم ير شيئا .. وحين كان يهم بالقيام من سريره ليبحث في الحجرة سمع صوت اقدام قادمة ، فعاد يغلق عينيه ويتظاهر بالنوم ..

ودخل « اخميم » ومعه الجنى الذى أخبره بما حدث من أمر العبدين ، و « سيف » يسمع ساكتا ، وقال « اخميم » :

ـ هذا من فعل « جيزة » .. احمل الجثتين وهيا بنا اليها .. وحذار أن توقظ الملك « سيف » ..

وما كاد « اخميم » يغادر الحجرة ومعه الجنى ، حتى أسرع « سيف » يقوم من فراشه ويتعقبهما دون أن يحسا به وقد أمسك بيده مقبض سيف « سام بن نوح » ..

***

فوجئت الملكة « جيزة » بأبيها يدخل اليها ، وبالجنى يقذف بجثتي العبدين تحت قدميها ، فشحب لونها ووقفت ساكتة في مكانها وقد ألجمت المفاجأة لسانها ، وقال « اخميم » :

ـ أهكذا تحتفى ابنتى بضيفى .. ؟!

وحين استطاعت « جيزة » أن تجد صوتها قالت :

ـ لقد سألت « عيروض » فأخبرنى أننى سأصبح زوجة من زوجاته ، ولست أقبل لنفسى أن تشاركنى فى زوجى امرأة أخرى ، فما بالك بعديد من النساء .. أأصبح أنا جارية لمثله .. ؟

فقال « اخميم » :

ـ وهل فى يدك أن تغيرى ما هو مقدور ومكتوب .. ؟

فقالت الملكة « جيزة » :

ـ لابد أن يموت .. وستكون نهايته على يدى ..

فقال « اخميم » :

ـ ومن أنت حتى تقولى مثل هذا الكلام ؟! .. هذا ملك سعيد محظوظ سخر له الجن والانس ليخدموه ليؤدى دوره ويحقق رسالته وينفذ دعوة « نوح » عليه السلام ..

وقبل أن ترد « جيزة » دخل الملك « سيف » وقال :

ـ يا حكيم « اخميم » لقد سمعت ما دار بينكما من حديث ، وانا قد سامحت الملكة « جيزة » فلا تقسو عليها ..

فقال « اخميم » وقد أذهلته المفاجأة :

ـ يا سيدى الملك « سيف » .. هل تقبل ابنتى زوجة لك .. ؟!

فقال « سيف » :

ـ لقد اقسمت الا اتزوج من امرأة ، مهما بلغت من الحسن ، الا بعد زواجى من « شامة » بنت الملك « أفراح » أولا .. فان كان لى نصيب فى ابنتك فاننى ..

ولم تتركه الملكة « جيزة » يكمل كلامه ، بل أسرعت تقول :

ـ ومن قال اننى أقبل أن أكون زوجا لك .. ؟!

فنظر اليها الملك « سيف » طويلا ، ثم غادر الحجرة منصرفا وقد بدأ يفكر فى ضرورة استعادة اللوح منها .. فما كان قد غامر بنفسه كل هذه المغامرة ليعطى اللوح لواحدة تضمر له كل هذه الكراهية ..

وظل « اخميم الطالب » مع ابنته بعض الوقت يحدثها ثم انصرف .. أما الملكة « جيزة » فقد عادت الى فراشها تبكى من الحنق والغيظ الى أن استنفدت قواها من البكاء فنامت مجهدة ..

وما كادت الملكة « جيزة » تنام حتى تسلل « سيف » الى حجرتها ، وقصد اليها بحذر ، وفك السلسلة التى تحمل اللوح من حول رقبتها ، ثم حمل اللوح ووضعه حول رقبته .. ثم تسلل الى حجرته وعاد ينام فى سريره مطمئنا هادئا ..

***

استيقظت الملكة « جيزة » من نومها ، وقد امتلأ قلبها بالغيظ والحنق من « سيف » وقررت أن تستدعى خادم اللوح لينكل لها « بسيف » ، ولكنها ما كادت تمد يدها الى حيث وضعت اللوح حتى عرفت أنها فقدته ، ولم تشك لحظة فى أن الذى استولى على اللوح هو الملك « سيف » .. ولم تنتظر لحظة واحدة بل اسرعت تشرع

خنجرها فى يدها وقد عزمت على قتل « سيف » بيدها ، ومضت تجرى الى حجرة الملك « سيف » ..

***

وكان الملك « سيف » قد استيقظ مبكرا وجلس على صخرة تحت شجرة عالية يعد سلاحه ويسوى من ملابسه ، واذ به يلمح الملكة « جيزة » تسرع نحوه وشرر الغضب يتطاير من عينيها فأسرع يدلك اللوح بيده ، وصاح فى « عيروض » حين أقبل اليه قائلا :

ـ اسرع بى الى مدينة حمراء فقد تركت هناك « سعدون » وحده ..

وسرعان ما كان الملك « سيف » يطير فى الهواء وقد حمله « عيروض » .. وقد وقفت « جيزة » ذاهلة ، والخنجر مشرع فى يدها والحقد يأكل قلبها .. وسمعت من ورائها صوت أبيها يقول :

ـ لا تحزنى يا ابنتى فسيجمع الله شملك به ..

فقالت غاضبة :

ـ لست أريده هو ، بل أنى أريد اللوح الذى سرقه منى ..

فقال « اخميم » :

ـ ان هذا اللوح ذخيرته هو يا ابنتى ، وسوف يصبح اللوح وغيره من الذخائر ملكك أنت عندما يشاء الله ..



الفصل الثامن عشر

المبارزة

نزل « عيروض » بالملك « سيف » الى جوار مدينة حمراء الحبشة ؛ فلم ير غير الصحراء الخالية تحيط بأسوار المدينة وقد اختفت خيام جيش الملك « أفراح » وجنود « سعدون » الزنجى .. ووقف وحيدا حائرا وهو لا يجرؤ على الدنو من المدينة خوفا من أن تكون المعركة قد انقلبت لصالح أعدائه فيسلم لهم نفسه لقمة سائغة .. فقرر أن يختبىء خلف جبل من الجبال المحيطة بالمدينة حتى تتاح له الفرصة ويكشف لنفسه حقيقة الخبر ..

واتجه الملك « سيف » الى جبل عال يريد أن يدور حوله بحثا عن مخبأ أمين بين صخوره ، ولكنه لمح غبارا يثور من بعيد .. وسرعان ما انكشف الغبار عن فارسين يقبلان فى سرعة وقد شرع كل منهما رمحه وحول جواده ناحيته .. ولم يكن مع الملك « سيف » سوى حسام « سام بن نوح » فشرعه فى يده ووقف ينتظر ثابت القلب .. وسرعان ما أطبق عليه الفارسان وهما يصيحان ، ووجه كل منهما اليه طعنة من رمحه ، تجنبها الملك « سيف » بخفة ومهارة ثم استدار ليواجه أقرب الفارسين اليه .. واذا بالفارس يصرخ صرخة مرتفعه ويقفز من فوق جواده ، ويسرع ساجدا عند قدمى الملك « سيف » وهو يقول :

ـ سيدى الملك « سيف » .. شلت يدى حين أرفعها عليك يا فارس الزمان ..

وكان الفارس الثانى قد توقف حين رأى ما فعله زميله ، وأطال النظر فى وجه الملك « سيف » ثم أسرع يحذو حذو زميله ، فيقفز من فوق جواده ويسرع ساجداً عند قدمى الملك « سيف » وتملك العجب من نفس « سيف » فقال :

ـ من أنتما أيها الفارسان النبيلان ؟ .. وماذا جعلكما تغيران على

رجل وحيد .. ؟

فقال أولهما :

ـ نحن يا سيدى من جند « سعدون » الزنجى ..

فصاح الملك « سيف » :

ـ سعدون الزنجى .. ؟ واين هو الآن ؟ .. خذانى اليه ..

فقال ثانيهما :

ـ وكيف لنا هذا وهو فى سجن الملك « سيف أرعد » بعد أن غدرت بك وبنا « قمرية » الملعونة .. ؟!

فقال « سيف » وقد أحس بالغضب يملأ نفسه :

ـ أخبرانى حالا بما حدث ..

فوقف الفارسان على أقدامهما .. وتسرع أولهما يقول :

ـ عندما عادت « قمرية » بعد رحلتها معك وكانت واثقة من موتك ، أسرعت الى الملك « سيف أرعد » ودبرت معه مكيدة لأسر « سعدون » فأرسل « سيف أرعد » معها كتابا الى حاجبه ورئيس جنده واسمه « أبو الهول » ليطيعها فيما تدبر ، وينفذ لها ما تأمر .. وعادت « قمرية » الى المدينة ، وسارت متخفية بين خيامنا الى أن وصلت الى « أبى الهول » ليلا فطلبت مقابلته ، فسمح لها بالدخول .. وما أن دخلت حتى أمر جنده باعتقالها ، ولكنها أبرزت اليه رسالة « سيف أرعد » ، فحل وثاقها ، وطلب منها أن تأمر ، وعليه أن يطيع ..

وسكت الفارس الأول وهو يطرق الى الارض فى غضب وحنق ، فأخذ الفارس الثانى يكمل الحديث الذى قطعه زميله قائلا :

ـ واتفق الخائن مع الملعونة على الغدر ب «سعدون» .. فاستدعاه « أبو الهول » ليشاوره فى أمر الهجوم على المدينة المحاصرة فى الصباح .. وذهب « سعدون » خالى البال ، وظل « أبو الهول » فى الحديث معه وهو يغريه بالافراط فى شرب الخمر حتى تمكنت من لبه .. وسرعان ما صفق « أبو الهول » فانقض الجند على «سعدون» وأسروه قبضا باليد وقيدوه بالأغلال ..

وقاطعه الفارس الأول قائلا :

ـ وقد أخبر « أبو الهول » « سعدون » بكل ما حدث ، وقال ل « سعدون » : لا تعتب على فانى عبد المأمور . وقد قال له «سعدون»: لا عتب عليك ، ولكن الملك « سيف » سيعلم بهذا الامر ويقضى عليك وعلى « قمرية » وعلى « سيف أرعد » . فقال له « أبو الهول » لقد مات

الملك « سيف » .. قتلته « قمرية » ! .. فسكت « سعدون » مغلوبا على امره ..

وعاد الفارس الثانى يقول :

ــ وقد جاءنا أحد جند الحاجب ، وأخبرنا بما حدث لـ «سعدون» فشكرنا له وفاءه ثم ركبنا خيولنا واسرعنا نحاول فك اسره ، الا أن جند «قمرية» خرجوا من المدينة وانضموا الى جند الحاجب وتكاثروا علينا ، وظل القتال بيننا أياما طويلة ..

وأكمل الفارس الأول قائلا :

ــ وعندما أحسسنا بقلة عددنا وضعف حيلتنا ، أسرعنا نتراجع الى خلف الجبل ، نغير بين الحين والحين على كل من يخرج من المدينة أو يدخل اليها فى انتظار الفرصة للانتقام من « قمرية » ..

فقال الملك « سيف » :

ــ وأين « سعدون » الآن .. ؟

فقال الفارس الثانى :

ــ انه فى أسر الملك « سيف أرعد » فى مدينة الدور ..

فقال « سيف » :

ــ اذن عودوا الى زملائكم وانتظروا عودتى مع « سعدون » لنخرب هذه المدينة وننتقم من ملكتها الغادرة ..

ودلك الملك « سيف » اللوح ، فظهر « عيروض » فأمره أن يحمله الى مدينة الدور ، وسرعان ما طار به « عيروض » بين ذهول الفارسين ودهشتهما ...

وما كاد الملك « سيف » يقترب من مدينة الدور حتى سمع صوت طبول ومزاهر ، وأصوات فرح واحتفال ، فقال لـ « عيروض » :

ــ انزلنى يا « عيروض » على جبل من الجبال القريبة من المدينة ، واذهب لتعرف لنا ما الذى يدور فى هذه المدينة ، وما حكاية هــذه الطبول والأفراح ..

فأنزله « عيروض » على جبل عال .. ثم اختفى .. وسرعان ما عاد ليقول للملك « سيف » :

ــ هذا عرس الملك « سيف أرعد » .. وعروسه هى الملكة « شامة » بنت الملك « أفراح » ..

فصاح « سيف » قائلا :

ــ ماذا تقول ؟ هل تزوجت « شامة » من الملك « سيف أرعد » ؟!

فقال « عيروض » :

ــ أن انزفاف لم يتم بعد ، وقد خصصوا خيمة للعروس خارج المدينة ..

فصاح « سيف » :

ــ خذنى الى هذه الخيمة يا « عيروض » ولاحظنى من بعيد ، فان وقعت فى مكروه فاحملنى أنا والعروس الى هذا الجبل ..

وسرعان ما طار به « عيروض » وأنزله عند خيمة العروس ثم اختفى ..

وحين اقترب الملك « سيف » فى حذر من خيمة الملكة « شـامة » سمعها تبكى بكاء مرا وهى تردد اسـمه فى لوعة ، وتهمس من بين دموعها بعزمها على الموت قبل أن يتم هذا انزواج .. فدخل الملك « سيف » الخيمة وهى لا تحس به وقال لها :

ــ يا « شامة » .. انك والله زينة النساء ورمز الوفاء ..

وما أن سمعت صوته حتى هبت واقفة على قدميها ، وجعلت تحدق فيه غير مصدقة ما ترى .. ثم تهاوت عند قدميه باكية من الفرح والسرور ..

وجعل الملك « سيف » يطيب خاطرها ويهدئها حتى تمالكت نفسها ، وحكت له قصتها قائلة :

ــ لقد عادت « قمرية » ذات صباح ، وأخبرت « سيف أرعد » انها قتلتك ، فأمر بأسر « سعدون » وتآمر « أبو الهول » على أسره ، ثم ارسله الى الملك « سيف أرعد » الذى وضعه فى السجن ، ثم أمر أبى أن يعود بجنـوده الى مدينة الدور ، وهنـاك أغرى اللعينان « سقرديون » و « سقرديوس » الملك « سيف أرعد » أن يتزوجنى ، وهدد الملك « سيف أرعد » أبى الملك « أفراح » حتى خضع ووافق على أن يزوجنى اياه .. ولكن اخبرنى أنت بما حدث لك وكيف نجوت من مكائد « قمرية » ..

فمضى الملك « سيف » يحكى لها ، وطال بينهما الحديث .. واذ بالملك « أفراح » يدخل خيمة ابنته الملكة « شامة » ليصحبها الى الزفاف .. وما أن رأى الملك « سيف بن ذى يزن » حتى وقف ذاهلا وكأنما رأى شبح أحد الاموات ، وصاح به الملك « سيف » قائلا :

ــ أهذا أنت أيها الخائن الغدار ، أتزوج زوجتى بغيرى وقدجئتك بمهرها « سعدون » الزنجى وحلوانها كتاب النيل .. ؟!

ثم رفع حسامه وهجم عليه ، فأسرع الملك « أفراح » هاربا من وجهه ، قاصـدا مقـر الملك « سيف أرعد » حيث دخل عليـه دون

استئذان صارخا :

ـ أغثنى يامالك .. لقد ظهر « سيف بن ذى يزن » وهو فى خيمة العروس ، وكاد يقتلنى حين دخلت عليه ..

وكان الملك « سيف أرعد » فى قمة السعادة والهناء .. فلما سمع صياح الملك « أفراح » استبد به الغضب ، وخرج قاصدا خيمة العروس وحسامه فى يده ، وقد صرخ فى جنده وعساكره .. وسرعان ما أحاطوا بالخيمة ثم أسرعوا يهجمون عليها ، واذ بالدنيا قد أظلمت وبعد قليل انجلت السماء وهدأ الغبار .. فأسرع الملك « سيف أرعد » الىالخيمة واقتحمها ، ولكنهلم يجد بها أحدا .. وعاد حانقا الى قصره وهو لا يكاد يفهم مما جرى شيئا ، وطلب « سقرديوس » و « سقرديون » ليدلاه على سر هذا الامر الخطير ، وكيف اختفت العروس من خيمتها ، وما الذى اثار هذا الغبار والشرار ..

أما الملك « سيف » والملكة « شامة » ، فان « عيروض » حين رأى هجوم الاحباش عليهما ، أسرع واختطفهما الى قمة الجبل كما أخبره الملك « سيف » بعد أن أثار هذا الغبار على جند « سيف أرعد » .. وقال الملك « سيف بن ذى يزن » لـ « عيروض » :

ـ هات لنا خيمة أنصبها فى هذا المكان ، وهات لنا طعاما من مال الملك « سيف أرعد » حتى نزيد فى عنده وغضبه .. وسننتظر هنا لنرى آخرة هذا الامر بينى وبينهم ..!

***

قصد « سقرديون » و « سقرديوس » الى الجبل واقتربا من الخيمة ، ثم صاحا بالملك « سيف بن ذى يزن » أن يخرج ليكلمهما ، فخرج اليهما الملك « سيف » قائلا :

ـ ماذا تريدان ياحكيما السوء .. ؟ !

فقال « سقرديوس » :

ـ ان ما تفعله لا يليق ، فأنت تخطف زوجات الملوك وتستعين بالجان فى حربنا ، والا فكيف أمكنك أن تفلت من بين الجنود ، ومن أين أتت تلك الغبرة وصيحات الرعد ؟ !

فقال الملك « سيف » :

ـ أتتحدث عن الذى يليق والذى لا يليق ، ان هذه زوجتى جئت لها بالحلوان والمهر ، وحينما أعود أجد هذا الباغى الذى يريد أن يتزوجها ..

فقال « سقرديون » :

ـ حين يختلف الفرسان يحتكمون الى السيوف ، ولا يلجأون الى حيل الجان ..

فقال « سيف » :

ـ وهل تحسب أنني أخاف منه ومن فرسانه ، سأنزل اليه فارسا لفارس ، وأحاربه هو ومن شاء من جنده ، على أن يكون القتال عادلا .. أما اذا هاجمني بجيشه فهذا غدر أقابله بالاستعانة بالجان يسوون بلده ورجاله بالارض ..

فقال « سقرديوس » :

ـ هذا مانريد يافارس الزمان ، ومنذ الغد تبدأ المبارزة ..

وأسرع الحكيمان الى الملك « سيف أرعد » يخبرانه بما اتفقا عليه مع الملك « سيف بن ذى يزن » .. أما « سيف » فقد طلب من « عيروض » أن يأتى له بجواد وعدة جلاد ، ومضى يستعد للحرب فى الغد ..

***

وعند الصباح ، اصطف جند الاحباش أمام المدينة .. وأمامهم وقف الملك « سيف بن ذى يزن » على حصانه وقد امسك بيده سيفه وهو يصيح :

ـ أنا « سيف بن ذى يزن » ، فارس الميدان ومبيد الابطال .. من خرج الى ، شهد منيته على يدى ..

فصاح الملك « سيف أرعد » فى جنوده :

ـ من جاءنى برأسه له عندى مائة دينار ذهبا ..

وأجرى الاحباش القرعة بينهم ليختاروا من يلقى الملك « سيف » وقد استهتروا به وبقدرته .. ووقعت القرعة على فارس شديد ، فبرز الى الملك « سيف » ودار بينهما القتال ، ولكن الملك « سيف » لم يمهله فسرعان ماراغ من ضربته ورفع سيفه فى قوة ونزل به على هامته فقتله فى الحال .. ووقف أمامهم يصول بفرسه ويصيح فيهم

ـ من الذى حلت منيته وطلبه الموت لتحظى الوحوش بجثته ..؟

وسرعان ما خرج اليه فارس آخر ، الا انه لم يبق أمام الملك « سيف » سوى جولتين ثم لحق بزميله مجندلا فوق الارض ..

وظلت الحرب دائرة ، وفرسان الحبش تخر واحدا اثر الاخر ، والملك « سيف » يتلقى كلا منهم بضرب يهد الجبال وموت مؤكد على حد سيفه الذى لا ترد له ضربة ولا تخيب له طعنة ، والملك

« سيف أرعد » يشجع فرسانه ورجاله ويمنيهم بالمال والعطـــاء والغيظ يملأ قلبه ، والغضب يشتد عليه ، حتى أقبل الليل وقـد قتل الملك « سيف » عددا كبيرا من فرسانه الابطال ، فنادى بالانفصال وعاد مع جنده مخذولا الى المدينة .. أما الملك « سيف » فقد عاد الى خيمته حيث تلقته شامة مهنئة اياه بفوزه فخورة ببطولته وجلده ، وخلعت عنه درعه وأعدت له طعامه ثم قضت ليلها ساهرة الى جواره تحرسه فى نومه ..

***

وفى الصباح عاد الجنـود الى الاصطفاف ، ودار « سقرديوس » و « سقرديون » يبرطمان بكلام الكهان ويقولان :

ــ أن زحل سينصر الاحباش اليوم على عدوهم ، ومن قتله منكم فاله الرضى من زحل والمال من سيف أرعد ..

وكان الملك سيف قد وقف قبالتهم يسخر منهم ويهزأ من فرسانهم ... وسرعان ما خرج اليه فارس حبشي مشهود له بالبراعة والقدرة فلم يستمر معه جوله الا وقد خر صريعا اثر ضربة بارعة من رمـــح « سيف بن ذى يزن » ، وخرج فارس آخر لحق بزميله ، ودام الامر على هذا الحال وكأن « سيفا » جزار يذبح ماشية لا حول لها ولا قوة .. وعنـد الليل كان الامـــر قد اشـــتد على الملك سيف أرعد ، فما أن نادى المنادى بالانفصال حتى عاد الى قصره وأمر باستدعاء الحكماء والوزراء للتشاور فى هذا الامر .. وما أن اكتمل الديوان حتى قال « سيف أرعد » :

ــ أن هذا الذى يحدث عار عظيم ، فارس واحد يقف وحده بلا معين ولا يستطيع فارس آخر أن يتغلب عليه رغم أنه يظل يحارب وحده منذ الصباح الى الليل ، ان هذا عار كبير ...

عند ذلك قال الوزير بحر قفقان الريف :

ــ أيها الملك العظيم ، ان الملك سيف لا يهزمه الا فارس من نوعه ، ورجالنا جنود حرب لا فرسان مبارزة ..

فقال « سيف أرعد » :

ــ ومن هو ذلك الفارس الذى تقترحه يا وزير .. ؟

فقال بحرقفقان الريف :

ــ انى أرى يامولاى .. أن ينزل اليه سعدون الزنجى فهو أعرف بمبارزته وقتاله ..

فقال سقرديوس :

ــ ان سعدون يسير فى ركاب سيف ، فكيف تريده أن يقاتله .. ؟
قال بحر قفقان الريف :
ــ لقد أسرنا سعدون وهو بين أيدينا وسنمن عليه بالحرية والمنح الجزيلة ان قتل « سيفا » ، ولن يجد سعدون فرصة كهذه فان رفض قتلناه ..
قال « سيف أرعد » لحاجبه :
ــ أحضر سعدون ..
وجاء سعدون مكبلا بالحديد ، فأمر الملك سيف أرعد بفك قيوده ثم قال له :
ــ لقدكنت اريد أن آمر بقطع رقبتك لما سبق لك من تمرد وعدم ولاء لى ، ولكنى سأمنحك فرصة واحدة لاثبــات ولائك فان لم تفعل قتلتك .. وأنت تعرف أن سيفى يصل الى أعدائى فى أى مكان فليس هناك من الملوك من يستطيع أن يحميك منى ومن بطشى ..
فقال « سعدون » وهو يحس ببارقة أمل :
ــ أصدر أمرك يامولاى وأنا أفعل ماتأمر ..
فقال سيف أرعد :
ــ هناك فارس يقف عند باب مدينتنا أريد منك أن تقتله ..
فضحك « سعدون » وقال :
ــ اعتبره مقتولا من الآن ، ومن هو هذا المشئوم الذى أغضبك .. ؟
فقال سيف أرعد :
ــ انه صديقك « سيف بن ذى يزن » ...
فصاح سعدون :
ــ سيف ، انه لم يمت اذن ..
ثم اسرع يقول مستدركا وقد خاف أن يكشف عما فى قلبه من فرح غامر :
ــ لقد عاد اهلاكه ، وبينى وبينه ثأر قديم حان اليوم لتسويته ..
فقال سيف أرعد :
ــ ان هذه فرصتك الوحيدة ياسعدون ، فان قتلته سأجعلمنك حاجبى ، أما ان غدرت فهذه نهايتك ..
فأسرع « سعدون » يقول :
ــ اننى مشتاق للقاء هذا الفتى المغرور فى ميدان الطعان لأثبت له حقيقة قدره بين الفرسان ..
فاستراح قلب سيف أرعد وامر باعطاء سعدون عدته وحصـانه

واعداد مكان له ليبيت فيه حتى الغد ..

***

وفى الصباح خرج سعدون على حصانه وقد وضع اللثـام على وجهه وجعل يصول ويجول ثم هجم على الملك سيف ، وظل القتال دائرا بينهما حتى تحطم الرمحان فى يديهمـا وكلت منهمـا الابدان وامتشقا السيوف ، ومضى كل منهما يظهر من فنون القتال والحرب ما أذهل جند الاحباش وحير ألبابهم .. وأحس سعدون بالتعب يحل فى جسده كله ، فرفع اللثام عن وجهه ، وقفز من فوق حصـانه يقبل قدم الملك « سيف » وهو يقول :

ــ لاشلت يداك ياملك سيف ، أنا سعدون عبدك ..

فصاح سيف :

ــ أهذا انت يا سعدون ؟ .. لقد كنت اقول اننى اعرف هذه الطعنات والضربات ، أركب حصانك وقف الى جوارى لنعلم هؤلاء الاحباش درسا لاينسونه ..

وما أن رأى سيف أرعد سعدون يقفز من حصانه ويقبل قـدم سيف حتى صاح :

ــ لقد غدر سعدون .. اهجموا عليهما وائتونى بهما جثتين ..

وسرعان مااندفع الجند كالسيل الزاخر .. فتلقاهم سـيف وسعدون بجنان ثابت ومضيا يصولان ويجولان بين الفرسان الى أن أحس « سيف » أن العدد قد كثر عليهما فصاح :

ــ عيروض ..

واذا بالسماء قد أغبرت والدنيا قد اسودت والبرق قد لمع فى السماء ، ثم اختطف عيروض الملك سيف وسعدون وأنزلهما عند الملكة شامة



الفصل التاسع عشر

ليلة الزواج

كانت « شامة » قد استبد بها القلق وهي ترقب القتال من فوق الجبل ، وملأها الخوف حين رأت جنود الحبشة يهجمون بجمعهم كله على الملك « سيف » والفارس الاسود الذى كان يحاربه .. ولكنها سرعان مارأت « سيف » أمامها ، والى جواره « سعدون » فأسرعت اليهما تهنىء الملك سيف بسلامته ، وتهنىء سعدون بنجاته .. وقال « سيف » :

ـ لابد أن نسرع الى مدينة حمراء الحبشة للانتقام من «قمرية» ..

فقال « سعدون » :

ـ ولكننا وحدنا ، و « قمرية » فى جيشها ووراء أسوار مدينتها ..

فقال « سيف » :

ـ ان رجالك يقفون الى جوار المدينة وقد التقيت بفارسين منهم ..

ودلك الملك « سيف » اللوح ، فظهر « عيروض » فأمره أن يحملهم جميعا الى مدينة الحمراء .. وسرعان ماوجد الجميع أنفسهم أمام أسوار المدينة ، فاتجه « سيف » ومعه « سعدون » و « شامة » الى خلف الجبل حيث وقف رجال « سعدون » .. واستقبل الفرسان « سعدون » بالفرح والابتهاج ، ثم اتجهوا الى الملك « سيف » يشكرون له أن خلص قائدهم « سعدون » من السجن. فقال « سعدون » :

ـ ليس هذا وقت الكلام ، ولكن هيا بنا نستولى على مدينة حمراء الحبش وننتقم من « قمرية » على مافعلت بنا ..

فركب الرجال خيولهم وصاحوا صيحات الحرب ، وهم يسرعون خلف « سيف » و « سعدون » يهاجمون المدينة ، والتقى بهم جند

« قمرية » ، ودار بينهم القتال واشتد الطعن والنزال ..

وسمعت « قمرية » الصيحات ، فأرسلت حاجبها يكشف الخبر. وعاد اليها مسرعا وهو يقول :

ـ انه الملك « سيف » قد عاد على رأس رجال « سـعدون » يحيطون برجالنا ويقاتلون فى وحشية ..!

فركبه الهم « قمرية » وأسرعت تطل من قصرها على ميـدان القتال ، فرأت رجالها أمام فرسان « سيف » منهزمين ، وليست لهم قوة على صده ولا صد جند « سعدون » فتمالكت نفسها وقررت ان تلجأ الى الحيلة والغدر ، وأمرت الحاجب فجاء لها بالقيود ، وحلت شعرها ووضعت القيود فى يديها وخرجت حافية تبكى وقد امرت رجالها أن يكفوا عن القتال وصاحت :

ـ ياملك « سيف » ان أحدا لم يؤذك الا أنا ، فاسحب حسامك ياولدى واضرب رقبتى وأنت برىء من دمى .. أما هؤلاء الرجال فلا ذنب لهم ..

ثم مضت تبكى والملك « سيف » قد وقف فى ذهول ، وقد أخذت دموعها تستـل الحقـد من قلبه وتطفىء نار الغضب الذى كان يملأ صدره ، ومضت تتقدم منه وهى تبكى وتقول :

ـ هلم يابنى ، اقتلنى لتقتل الشيطان الذى يوسوس فى صدرى ، وسأكون سعيدة ان أموت بسيفك وألا يسفك دمى الا حسـامك ..

فرق لها قلب « سيف » وقال وهو يترجل عن حصانه ويتقدم منها :

ـ هذا ياأماه شىء مقدور والحمـد لله الذى جعل نهـايته سليمة ...

فقالت « قمرية » :

ـ الحمد لله على سلامتك ياولدى فمثلك من تفخر به الامهات.. أدخل بلدك واجلس على عرش أبيك فى مملكتك ، وما أنا الا واحدة من عبيدك ومن جواريك .. فى يدك حياتى ان شئت أبقيتها وان شئت ذهبت بها ..

حل الملك « سيف » قيودها ، ثم اتجه مع «شامة» و «سعدون» وجنوده الى القصر ، وأمر باطلاق السجناء واعلان الافراح وتوزيع الهبات واعداد العدة لاقامة حفل زواجه من الملكة « شامة » بنت الملك « أفراح » ..

***

ملأ الغضب قلب الملك « سيف أرعـد » أثر فرار « سـيف »

و « سعدون » من جنده ، فأمر بعقد الديوان .. فلما اكتمل الديوان صاح فى « سقرديوس » و « سقرديون » غاضبا :

ـ ماذا رأيتما فى هذا الحال ، وقد انتصر علينا « سيف بن ذى يزن » وخطف زوجتى « شامة » وألحق بنا الخزى والعار ..

فقال « سقرديون » :

ـ وحق زحل يامولاى ماهذا الا من تدبير الملك « أفراح » ولابد لك من الانتقام منه ..

وكان « سيف أرعد » يريد أن يصب غضبه على أى انســـان ، فأمر باحضار الملك « افراح » مكبلا فى الحديد والقيود .. ثم أمـــر باحضار السياف ، وقال للملك « أفراح » :

ـ الان أيها الغادر حان وقت القصاص منك ، ولابد أن تدفعرأسك ثمنا لغدرك بى ورعايتك لعدوى ..

ثم التفت للسياف ، وقال له :

ـ اقطع رقبته ..

وأخذ الملك « أفراح » يصيح ويحتج دون جدوى ، والسـياف يجذبه الى النطع وقد كبلت قدماه ورجلاه بالحديد ، ورفعالسياف سيفه ليجتث رقبته ..

***

وما أن استراح الملك « سيف بن ذى يزن » فى قصر أبيـــه وحوله « سعدون » ورجاله حتى قال للملكة « شامة » :

ـ الآن ستنتهى متاعبنا ونبدأ فى أيام سعادتنا ، وقد أمرت باقامة الافراح لزفافنا ..

فقالت « شامة » :

ـ وكيف تريد يامثلك « سيف » أن تتزوجنى وأبى بعيد عنى ..

فقال « سيف » :

ـ هذا أمر سهل ..

ودلك « سيف » اللوح فحضر « عيروض » فأمره باحضار الملك « أفراح » فى الحال ..

فغاب « عيروض » لحظة وأتى به من أمام الجلاد ، وقـد أوشك السيف أن ينزل على رقبته ، ووضعه أمام الملك « سيف » والقيود فى يديه ..

فقال له الملك « سيف » :

ــ هذا نتيجة غدرك بى ، والمكر السيء لا يحيق الا بأهله ..

فقال الملك « افراح » وهو لا يكاد يصدق بنجاته من سيف الجلاد :

ــ أن « شامة » ليست لاحد سواك ، وأنا ياولدى وبلادى وجنودى ملك يمينك ، وان اردت أن أزوجها اليك الان فعلت ..

فقال الملك « سيف » :

ــ الليلة يكون فرحنا ، وينتهى هذا العناء ..

ثم أمر بخلع القيود من يديه واحضار الطعام والشراب واعلان الفرح والابتهاج ..

***

وكانت الملكة « قمرية » ترقب كل هذا والحسرة تملأ قلبها ، وعندما دلك الملك « سيف » اللوح فحضر « عيروض » .. اشتعلت نفسها غيظا بهذه الذخيرة التى تسهل الامور على الملك « سيف » وقررت بينها وبين نفسها أن تحصل عليها ، ولكنها أخفت مابقلبها وابتسمت معلنة الفرح والابتهاج ، وقالت :

ــ سأعد أنا للفرح عدته ، فهذا يوم المنى والسرور يعود فيه ولدى بعد الغياب ، ثم نحتفل بزواجه من الاميرة « شامة » صاحبة الجمال والدلال ، والعريقة فى الحسب والنسب ..

وذهبت « قمرية » الى حجرتها ، وأحضرت عشرة عقود من الجواهر وقدمتها الى الملك « أفراح » كمقدم صداق ل « شامة » وأعطت « شامة » فصوصا من الجوهر ، وخلعت على الوزراء والحجاب الخلع السنية .. وهى تتظاهر بأن الفرح قد ملأ قلبها وأن الدنيا لا تتسع لسرورها ..

وكان الملك « سيف » يرى منها هذا فيرق قلبه لها ، وقد آمن بصدق توبتها ، وصدق أن عطف الامومة فيها قد غلب شرها وحقدها ..

وما أن اتى العصر حتى أمرت الملكة « قمرية » بذبح الاغنام وتوزيع الاموال على الارامل والايتام ، وقضى الجميع الليلة فى حبور وسرور والافراح فى البلد كلها قائمة .. وعقد العقد ل « سيف » على «شامة» وظلوا يسهرون فى طعام وشراب وغناء ورقص حتى أوشك الليل ان ينقضى ، وذهبت العروس الى حجرتها ، ثم قام الملك « سيف » قاصدا عروسه وأمه تسير معه حتى اقترب من باب « شامة »

فقالت له « قمرية » :

ــ ياولدي ان هذه أبرك ليالى الزمان التى تغيظ العدو وتفرح الاحباب ، وأنا ادعو لك بالسعادة والتوفيق .

ثم قبلته في جبينه ، فقبل يدها وهو يقول لها :

ــ اغفرى لى يا أمى ماكان يملأ قلبي الاسود من غيظ منك وبغض لك ، وماكنت أعلم أنك بهذه الطيبة والحنان ..

فقالت « قمرية » :

ــ ان قلبى يابنى يخاف عليك من هذا اللوح المرصود الذىتحمله فى صدرك ، فمثل هذه الليلة ينبغى أن تكون طاهرة ، ولا يحضرها إلا أنت وزوجتك .. ووجود اللوح معك معناه وجود خادمه ..

فقال « سيف » :

ــ لك الحق يا أمى فخذيه أحفظيه معك حتى آخذه منك فى الصباح ..

ثم خلع سلسلة اللوح ، وأعطاه لها وهى تزخرف له القول وتزيف عليه الكلام ، وقبلته مرة أخرى فى جبينه ثم عادت الى حجرتها

***

قضى الملك « سيف » مع زوجته ليلته الاولى فى سعادة حقيقية بعد طول شقاء ، وقد نسى الى جوارها كل ما ألم به من أحزان وتعب .. ولم يعد هناك مجال الا للحب والود والهناء ، وقد غفل عما يخبؤه الزمان ..

حتى أخذ الكرى بمعاقل الاجفان فنام هو والملكة « شامة » . أما « قمرية » فقد عادت الى حجرتها واستدعت جاريتها ، وأمرتها أن ترقب خارج حجرة « شامة » حتى تعرف أنهما قد ناما ، فتعود وتنبئها بالامر ..

وظلت مستيقظة حتى عادت الجارية قائلة : ان « سيف »و«شامة» قد ناما ، فدلكت اللوح وحضر « عيروض » فأمرته أن يصف لها وديان المهالك وأراضى الهلاك ، فجعل يصف لها مايعرفه من وديان وأراض حتى حدثها عن أراضى الغيلان ووادى الطودان ..

فقالت له :

ــ يا « عيروض » خذ الملك « سيف » وارمه فى أراضى الغيلان .. أما « شامه » فارمها فى وادى الطودان ..

فصدع « عيروض » بما أمر به ، وحمل الملك « سيف » ورماه فى

اراضى الغيلان ، ثم عاد وحمل الملكة « شـــامة » وهى نائمة ورماها فى وادى الطودان ، وعاد يخبر « قمرية » بما فعل ..

فقالت « قمرية » :

– الان هدأ سرى وارتاح بالى ونلت من هذا الملعون مرادى ..

تم الجزء الاول
ويليه الجزء الثانى فى العدد القادم



سلسلة روايات الهلال

مجلة قصصية شهرية تصدر عن دار الهلال

بدأت حياتها فى يناير سنة ١٩٤٩ باصدار الروايات الخالدة التى وضعها المرحوم جرجى زيدان عن تاريخ الاسـلام ولقيت فى عهده انتشارا كبيرا ...

ثم واصلت جهودها فى خـدمة الادب القصصى الرفيع بتقـديم منتخبات من روائع القصص العالمى ...

فهل تنقص مجموعتك احدى هذه الروايات ؟ ...

روايات تاريخ الاسلام لجرجى زيدان

١ ــ فتح الاندلس (نفدت)
وصف اسبانيا وفتح العرب لها

٢ ــ صلاح الدين ومكايد الحشاشين
قصة قيام الدولة الايوبية وحياة مؤسسها (نفدت)

٣ ــ شجرة الدر (نفدت)
قصة مبايعة اول ملكة فى الاسلام بمصر

٤ ــ ارمانوسة المصرية (نفدت)
قصة فتح مصر على يد عمرو بن العاص

٥ ــ عذراء قريش (نفدت)
قصة مقتل الخليفة عثمان بن عفان

٦ ــ ١٧ رمضان (نفدت)
قصة مقتل الامام على وفتنة الخوارج

٧ ــ غادة كربلاء (نفدت)
قصة مقتل الامام الحسين وآل البيت

٨ ــ الحجاج بن يوسف (نفدت)
قصة مقتل عبدالله بن الزبير بعد حصار مكة

٩ ــ شارل وعبد الرحمن (نفدت)
قصة فتوحات العرب فى فرنسا

١٠ ــ ابو مسلم الخراساني (نفدت)
قصة قيام الدولة العباسية فى بغداد

١١ ــ العباسة اخت الرشيد (نفدت)
قصة نكبة البرامكة فى عهد الرشيد

١٢ ــ الامين والمامون (نفدت)
قصة انتقال الخلافة من الامين لاخيه المأمون

١٣ ــ عروس فرغانة (نفدت)
قصة الدولة العباسية فى عهد المعتصم

١٤ ــ احمد بن طولون (نفدت)
قصة استقلال مصر فى عهد احمد بن طولون

١٥ ــ عبدالرحمن الناصر (نفدت)
قصة العصر الذهبى للعرب فى الاندلس

١٦ ــ فتاة القيروان (نفدت)
قصة فتح الفاطميين لمصر على يد القائد جوهر

١٧ و ١٨ ــ فتاة غسان « جزءان »
(الجزء الاول نفد)
قصة ظهور الاسلام وفتوحاته الاولى

١٩ ــ الانقلاب العثمانى
وصف حالة تركيا فى عهد عبد الحميد

٢٠ ــ اسير المتمهدى
قصة ثورة عرابى بمصر والمهدى بالسودان

٢١ ـ استبداد المماليك (نفدت)
قصة الحرب بين روسيا وتركيا
٢٢ ـ الملوك الشارد (نفدت)
وصف مصر وسوريا فى القرن الماضى

٢٣ ـ جهاد المحبين (نفدت)
قصة انتصار الحب الصادق برغم كل العقبات

.. ومن روائع القصص

٢٤ ـ غرام نابليون فى مصر (نفدت)
تأليف روجيه رجيس
٢٥ ـ غرام عطيل
تأليف اميل لودفيج
٢٦ ـ رسول القيصر
تأليف جول فيرن
٢٧ ـ غادة طيبة
تأليف اجاثا كريستى
٢٨ ـ روميو وجولييت
تأليف بول ريبو
٢٩ ـ غادة الكاميليا
تأليف مرسيل موريت
٣٠ ـ انا كارنينا
تأليف ليو تولستوى
٣١ ـ الزنبقة السوداء
تأليف اسكندر دوماس الاب
٣٢ ـ اغلال الحب
تأليف سومرست موم
٣٣ ـ قلوب تحترق
تأليف ستيفان زفايج
٣٤ ـ ملاك الرعب
تأليف ادجار والاس
٣٥ ـ ذات الرداء الابيض (نفدت)
تأليف ويلكى كولنز
٣٦ ـ الكونت دى مونت كريستو
تأليف اسكندر دوماس الكبير
٣٧ ـ البعث (نفدت)
تأليف ليو تولستوى
٣٩و٤٠ ـ ذوالقناع الحديدى(جزءان) (نفـدا)
تأليف اسكندر دوماس الكبير
٤١ ـ ابنة البخيل (نفدت)
تأليف أونوريه دى بلزاك
٤٢ ـ مأساة مايرلنج
تأليف بول ريبو
٤٣ ـ الارض الطيبة
تأليف بيرل بك
٤٤ ـ غراميات راسبوتين
تأليف شارل بنى

٤٥ ـ جريمة فى الريف
تأليف أجاثا كريستى
٤٦ ـ مارى انطوانيت
تأليف ستيفان زفايج
٤٧ ـ الفارس الخامس
تأليف اسكندر دوماس الكبير
٤٨ ـ الادب الخالد
تأليف اونوريه دى بلزاك
٤٩ ـ مغامرات مستر بيكويك
تأليف شارلز ديكنز
٥٠ ـ كاتالينا
تأليف سومرست موم
٥١و٥٢ ـ الفرسان الثلاثة «جزءان»
تأليف أسكندر دوماس الكبير
٥٣ ـ زهرة الحب
تأليف أونوريه دى بلزاك
٥٤ ـ الشقراء البريئة
تأليف ايرل ستانلى جاردنر
٥٥ ـ شعب وطاغية
تأليف اسكندر دوماس الكبير
٥٦ ـ الغانية اللعوب
تأليف ايفان تورجنيف
٥٧ ـ صراع الحب
تأليف فيدرو دستويفسكى
٥٨ ـ فى مهب الريح
تأليف لين يوتنج
٥٩ ـ أوليفر تويست
تأليف شارلز ديكنز
٦٠ ـ الثورة الحمراء
تأليف اسكندر دوماس الكبير
٦١ ـ جريمة فى وادى النيل
تأليف أجاثا كريستى
٦٢ ـ قلبان فى عاصفة
تأليف روفائيل سباتينى
٦٣ ـ احدب نوتردام
تأليف فيكتور هيجو
٦٤ ـ الشبح الرهيب
تأليف أجاثا كريستى

٦٥ ـ الحب فى العذاب
تأليف ابيه بريفو
٦٦ ـ العاشق الفارس
تأليف اسكندر دوماس الكبير
٦٧ ـ البنفسجة الحسناء
تأليف اسكندر دوماس الكبير
٦٨ ـ العاشقة العذراء
تأليف ايفان تورجنيف
٦٩ ـ دافيد كوبرفيلد
تأليف شارلز ديكنز
٧٠ ـ عاصفة وقلب
تأليف فيكتور هيجو
٧١ ـ ذات الشعر الذهبى
تأليف سومرست موم
٧٢ ـ الوحش الرهيب
تأليف ادجار والاس
٧٣ ـ العاشق المجنون
تأليف اميل زولا
٧٤ ـ جوهرة القمر
تأليف ويلكى كولنز
٧٥ ـ السجين الهارب
تأليف ادجار والاس
٧٦ ـ غانية باريس
تأليف اميل زولا
٧٧ ـ جنون الحب
تأليف سومرست موم
٧٨ ـ الخيط الدموى
تأليف كونان دويل
٧٩ ـ صراع بين الاجيال
تأليف ايفان تورجنيف
٨٠ ـ الكلب الجهنمى
تأليف كونان دويل
٨١ ـ المرابية العجوز
تأليف فيدور دستويفسكى
٨٢ ـ قلب محطم
تأليف جى دى موباسان
٨٣ ـ الافق الضائع
تأليف جيمس هيلتون
٨٤ ـ مرتفعات ويذرنج
تأليف اميلى برونتى
٨٥ ـ مغامرات شرلوك هولمز
تأليف كونان دويل
٨٦ ـ الزوج الخالد
تأليف فيدور دستويفسكى
٨٧ ـ الارض العذراء
تأليف ايفان تورجنيف
٨٨ ـ رجال الله
تأليف بيرل بك

٨٩ ـ مذكرات شرلوك هولمز
تأليف كونان دويل
٩٠ ـ قلب المرأة
تأليف سومرست موم
٩١ ـ امرأة فى الثلاثين
تأليف اونوريه دى بلزاك
٩٢ ـ الكنز المفقود
تأليف كونان دويل
٩٣ ـ ابن مصر
تأليف جيمس بسبى الصغير
٩٤ ـ اعلان عن جريمة
تأليف أجاثا كريستى
٩٥ ـ الحب العظيم
تأليف ايفان تورجنيف
٩٦ ـ الكأس الاخيرة
تأليف أجاثا كريستى
٩٧ ـ وادى الرعب
تأليف كونان دويل
٩٨ ـ بنت مصر
تأليف مارجرى لورنس
٩٩ ـ ابنة القـائد
تأليف اسكندر بوشكين
١٠٠ ـ الحرب والسلام
تأليف ليو تولستوى
١٠١ ـ عنترة بن شداد «الجزء الاول»
تأليف يوسف بن اسماعيل
١٠٢ ـ نهاية غرام
تأليف جراهام جرين
١٠٣ ـ عنترة بن شداد «الجزء الثانى»
تأليف يوسف بن اسماعيل
١٠٤ ـ خاتم سليمان
تأليف أونوريه دى بلزاك
١٠٥ ـ عنترة بن شداد «الجزء الثالث»
تأليف يوسف بن اسماعيل
١٠٦ ـ الجوهرة الخضراء
تأليف ادجار والاس
١٠٧ ـ خفايا باريس
تأليف سومرست موم
١٠٨ ـ الرجل الثالث
تأليف جراهام جرين
١٠٩ ـ مغامرة فوق القمر
تأليف هربرت ج . ويلز
١١٠ ـ عدالة السماء
تأليف أجاثا كريستى
١١١ ـ غراميات اهل الفن
تأليف برنارد شو
١١٢ ـ جريمة على الشاطىء
تأليف جراهام جرين

١١٣ ـ اميرة المريخ
تأليف ادجار رايس بورور

١١٤ ـ المليون الضائع
تأليف ادجار والاس

١١٥ ـ قلب الغانية
تأليف سومرست موم

١١٦ ـ ملك المزيفين
تأليف ادجار والاس

١١٧ ـ فتش عن المراة
تأليف أجاثا كريستى

١١٨ ـ جزيرة الاحلام
تأليف سومرست موم

١١٩ ـ العالم المفقود
تأليف كونان دويل

١٢٠ ـ اغلال الخطيئة
تأليف جورج سيمنون

١٢١ ـ الثعبان الطائر
تأليف ادجار والاس

١٢٢ ـ المصارع الجرىء
تأليف بلاسكو ايبانيز

١٢٣ ـ المندوب السرى
تأليف جراهام جرين

١٢٤ ـ جريمة فى القصر
تأليف أجاثا كريستى

١٢٥ ـ اليد المجهولة
تأليف جورج سيمنون

١٢٦ ـ مدينة الذهب
تأليف رايدر هجارد

١٢٧ ـ جريمة فى الفضاء
تأليف تشارلز اريك مين

١٢٨ ـ لغز المفتاح الفضى
تأليف ادجار والاس

١٢٩ ـ معبد الحب
تأليف اجاثا كريستى

١٣٠ ـ هذه المرأة لى
تأليف جورج سيمنون

١٣١ ـ ايفانهو او الفارس الاسود
تأليف سير والتر سكوت

١٣٢ ـ حسناء القوقاز
تأليف ليو تولستوى

١٣٣ ـ الساحر الجبار
تأليف سومرست موم

١٣٤ ـ الرجل الغامض
تأليف أجاثا كريستى

١٣٥ ـ اشباح الرعب
تأليف ادجار والاس

١٣٦ ـ الخطيئة السابعة
تأليف سومرست موم

١٣٧ ـ الحكم الرهيب
تأليف ادجار والاس

١٣٨ ـ ساحرة الرجال
تأليف جون شتاينبك

١٣٩ ـ الجوهرة الدامية
تأليف رايدر هجارد

١٤٠ ـ كنت جاسوسا
تأليف سومرست موم

١٤١ ـ عذراء وثلاثة رجال
تأليف جيمس هيلتون

١٤٢ ـ اللغز العجيب
تأليف أجاثا كريستى

١٤٣ ـ المنتقم
تأليف ادجار والاس

١٤٤ ـ رجال ونساء وحب
تأليف جون شتاينبك

١٤٥ ـ ليلة غرام
تأليف سومرست موم

١٤٦ ـ مغامرات فى عصر الفضاء
تأليف روبرت شيكلى

١٤٧ ـ الفتاة الفارس
تأليف د. س. ديمترييف

١٤٨ ـ زواج حرب
تأليف هنرى بوردو

١٤٩ ـ جريمة فى الكونغو
تأليف جورج سيمنون

١٥٠ ـ المليونير العجيب
تأليف ادجار والاس

١٥١ ـ العاشق الظريف
تأليف أرنولد بنيت

١٥٢ ـ تيريزا
تأليف اميل زولا

١٥٣ ـ النيران والجسد
تأليف جورج كرتو

١٥٤ ـ الهربون
تأليف ارنست همنجواى

١٥٥ ـ غادة اليابان
تأليف بيرل بك

١٥٦ ـ القاتل الخفى
تأليف آجاثا كريستى

١٥٧ ـ صقر البحر
تأليف رافائيل ساباتينى

١٥٨ ـ صفحة حب « الجزء الاول »
تأليف اميل زولا

١٥٩ ـ صفحة حب « الجزء الثانى »
تأليف آميل زولا

١٦٠ ـ المتمردة الحسناء
تأليف بيرل بك

١٦١ - كاتيــا
تأليف ليوتولستوى
١٦٢ - ابتسامة حب
تأليف فرانسواز ساجان
١٦٣ - جريمة فى الريفييرا
تأليف جورج سيمنون
١٦٤ - سوف تشرق الشمس
تأليف آرنست همنجواى
١٦٥ - غريزة السعادة
تأليف اندريه موروا
١٦٦ - الفريسة
تأليف اميل زولا
١٦٧ - مادلين
تأليف جول ساندو
١٦٨ - ٢٤ ساعة فى حياة امرأة وجنون الحب
تأليف ستيفان زفايج
١٦٩ - جين اير «الجزء الاول»
تأليف شارلوت برونتى
١٧٠ - جين اير «الجزء الثانى»
تأليف شارلوت برونتى
١٧١ - ألوان من الحب
تأليف أندرية موروا
١٧٢ - نيتوتشكا اليتيمة الحسناء
تأليف دستويفسكى
١٧٣ - السمراء الهاربة
تأليف ستانلى جاردنر
١٧٤ - عذارى العبد
تأليف بيرل بك

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الروايات من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب (المبتديان) بالقاهرة

الاسعار

ثمن النسخة الواحدة (٨٠ مليما) بخلاف مصاريف البريد المسجل

اشترك في روايات الهلال

(أسعار الاشتراك على الصفحة الثانية)

وكلاء روايات الهلال

اللاذقية	السيد نخلة سكاف
جدة	السيد هاشم بن علي نحاس ص.ب ٤٩٣
البحرين	السيد مؤيد احمد المؤيد صندوق البريد رقم ٢١
البرازيل	Dr. Michel Tohmé, Rua Basilio Jafet, No. 127, 5" and Sal 54, SAO PAULO, BRASIL
سيراليون	Messrs. Allie Mustapha & Sons P. O. Box 410 Freetown,Sierra Leone
سنغافورة	Ahmed Bin Mohammad Bin Samit Almaktab Attijari Asshargi, P. O. Box 2205 SINGAPORE
انجلترا	The Arabic Publications Distribuder Bureau, 7, Bishopthorpe Road London S.E. 26, ENGLAND
نيجيريا	Mr. Mohamed Said Mansour Atlas Library Company, 126 Nnamdi Azikiwe St. Lagos, Nigerta.

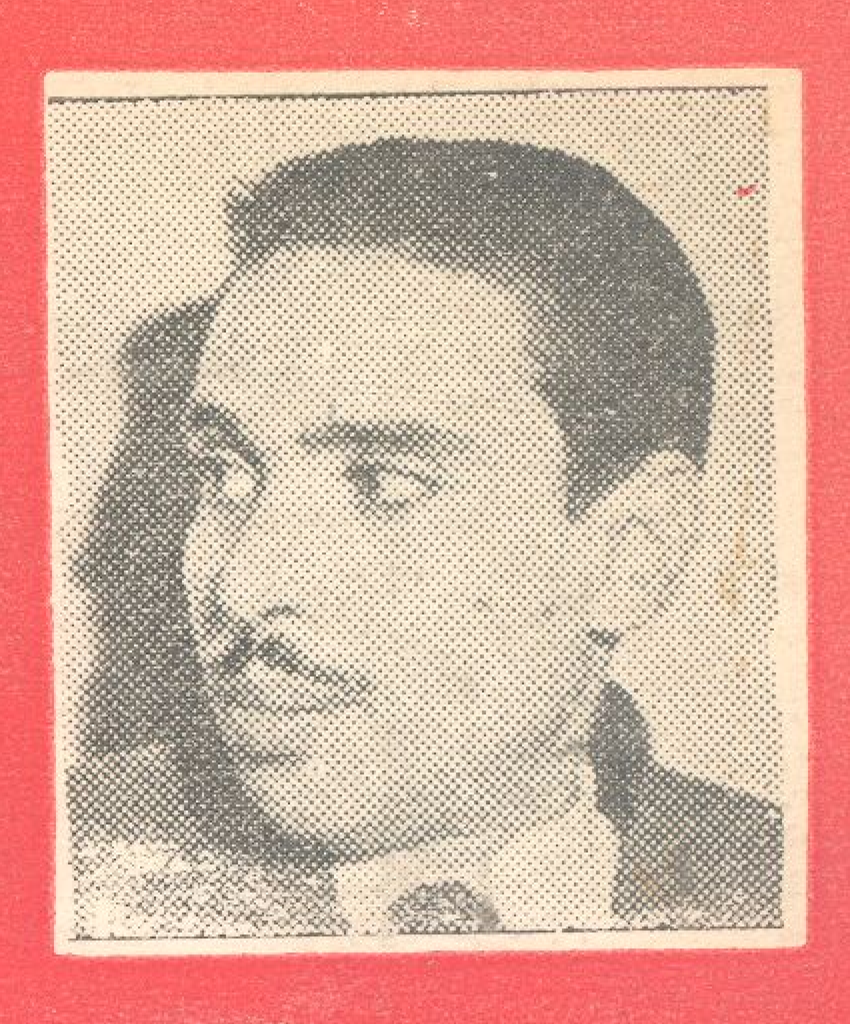
روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

هذه الرواية

قصة ((سيف بن ذى يزن)) واحدة من مجموعة السير الشعبية التى يرجح أنها كتبت فى القرن الرابع عشر الميلادى . ومهما يكن من أمر مؤلف هذه السيرة فلا شك أنه فنان مبدع استطاع أن يرسم صورة طريفة لكفاح الشعب العربى وبطولته ، وأن يقدم لونا شائقا من التعبير عن أحداث عصره وما كان يساور معاصريه من القلق والاضطراب نتيجة تهديد بلاد الحبشة - التى كانت تمثل عند المصريين حينذاك مركز العدوان على العالم الاسلامى عامة وعلى بلادهم خاصة - ولعله شاء بهذه السيرة أن يحقق للشعب العربى انتصارا حاسما على أعدائه ، يعيشه ويرويه ويحكيه على مدى الاجيال ..

وقد توفر الاستاذ فاروق خورشيد على دراسة هذه السيرة ، وأخرجها فى صياغة جديدة ملتزما الأصل الذى تناقله الرواة - بقدر الامكان - وهذا هو الجزء الاول منها ، وسننشر الجزء الثانى - والاخير - فى العدد القادم بمشيئة الله



المؤلف

* أهتم بدراسة الادب الشعبى ، فألف كتابا «فى الرواية العربية» الذى تناول فيه دراسة عصر التجميع ، وهو العصر الاول لدراسة تاريخ الرواية العربية

* ألف « فن كتابة السيرة الشعبية » كدراسة تطبيقية و « أضواء على السير الشعبية »

* من كتبه «بين الادب والصحافة» و « محمد فى الادب المعاصر » ومجموعة قصص بعنوان «الكل باطل»

* عمره خمسة وثلاثون عاما . متخرج فى كلية الآداب قسم اللغة العربية عام ١٩٥٠



